السبت 11 أيلول 2021
العدد 4435 السنة السادسة عشرة
Samedi 11 septembre 2021 nº 4435 16ème année
24 صفحة
2000 ليرة

# الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com

كلمات

محمد كرد علي
**التنويري المنسي**

## ميقاتي يؤلّف بإيعاز فرنسي و«قبّة باط» أميركية
# حكومة الثقة (شبه) المستحيلة
[2 ـ 5]

في الذكرى العشرين لهجمات 11 أيلول، ومع افول نجم «الحرب على الإرهاب»، تلقّت اميركا هزيمةً اخرى في افغانستان، لتتبيّن انها لم تتعلّم شيئاً من تجاربها السابقة (أ ف ب)

## حرب العشرين سنة
# أميركا ليست نهاية التاريخ
[10 ـ 12]

قضية

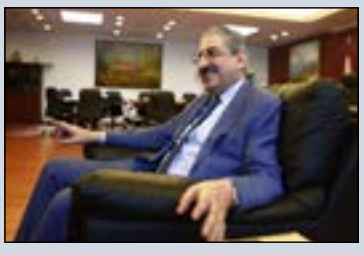

**رئاسة الجامعة اللبنانية نحو التمديد؟**

6

تركيا

نزيف الشعبية مستمرّ:
**إردوغان نحو تعديل النظام الانتخابي؟**

12

اليمن

**بريطانيا في المهرة: وكر تجسّس**

14

المشهد السياسي

# حكومة ترميم المنظومة: الثقة (شبه) مستحيلة

**لا ثقة بحكومة نجيب ميقاتي. ممثلة مصالح المنظومة التي هندست انهيار البلد وتحميل المجتمع فيه أعباء الكارثة. العنوان يُقرأ من رئيسها، وهويات الوزراء الذين سيلعبون دوراً رئيسياً في المفاوضات مع صندوق النقد الدولي. ووضع خطّة «الإصلاح المالي». شخصيات تمثّل مصالح مصرف لبنان والمصارف والمؤسسات المالية العالمية... والولايات المتحدة الأميركية. خطّة وقف الانهيار لن تضعها هذه الحكومة. إنّها مرحلة جديدة من الانهيار تُفتتح قبل أيام من رفع الدعم نهائياً**

( مروان بوحيدر)

إذا كان تأليف الحكومة الجديدة برئاسة نجيب ميقاتي انعكاساً لاستمرار سلطة «القوي» واستغلاله الطبقات الشعبية لتمتين نفوذه السياسي - الاقتصادي، فتنعم فئة قليلة جدّاً من المُنتفعين، فإنّ الأكيد أنّ التشكيلة الوزارية تُعبّر عن كلّ ما يتعارض مع مصلحة اللبنانيين لإنهاء الانهيار الاقتصادي - المالي - النقدي المستمر منذ سنتين. فبين وزراء يتبنّون علناً سياسات الولايات المتحدة الأميركية، ويأتون مُسبقاً بمواقف ترفض التعاون الاقتصادي مع دول أخرى، ملتزمين أفكار المؤسسات الدولية المالية والدفاع عن مصالح المنظومة القائمة... فهذا يعني أنّه لا أمل ولا ثقة تُستشف منهم. صحيح أنّ الوجهة واضحة منذ لحظة تكليف ميقاتي، أحد أعضاء النواة الصلبة لهذه المنظومة، ولكنّ المسألة اتّخذت شكلاً أكثر فظاظة مع إعلان الأسماء. انطلاقاً من هنا، يُمكن تحديد بيان الطوارئ الذي يجب أن تحكم الحكومة وفقه. لا ثقة بالحكومة التي يتراسها نجيب ميقاتي إلّا إذا اتّخذت موقفاً ببناء دولة مجتمعية تؤمّن عدالة الفرص لجميع السكّان وتوفّر لهم الخدمات الأساسية. عنوان الحلّ سياسي وليس تقنياً، أساسه الإجابة عن سؤال: عن مصالح مَن سيُدافع مجلس الوزراء الجديد؟ مصالح القطاع المصرفي والمالي وجميع المحظيين والمُنتفعين منه، الذين يُريدون تحميل نتائج خسائر البنوك لعامة السكّان؟ أم مصالح الطبقات الفقيرة والمتوسطة التي سُرقت ودائعها وفقدت رواتبها قيمتها وانهارت قدراتها الشرائية وحُرمت والدواء والاستشفاء والسكن...؟

يُفترض أن لا تحكم الحكومة الجديدة أكثر من 8 أشهر، تسبق إجراء الانتخابات النيابية، إذا نُظّمت. المدّة قصيرة ولكنّها كافية لأن يتّخذ مجلس الوزراء إجراءات سريعة وفعّالة، يُمكنها أن تُشكّل أرضية للحلّ المستدام.

الخطوة الأساسية لمعالجة الأزمة هي الاعتراف بحجمها وبتحديد الخسائر المُترتبة عنها وكيفية توزيعها، أي وضع خطة إصلاح مالي. هدف الخطة هو إظهار الخسائر في مصرف لبنان والمصارف، إعادة هيكلة المصارف بطريقة تمكّنها من ممارسة دورها في الاقتصاد والعودة للقيام بوظيفتها «الطبيعية» وأهمها التفعيل الإقراض ولا سيما للقطاعات الإنتاجية؛ إعادة هيكلة الدين العام حتى لا تبقى استدامته عبئاً على كلّ الأجيال المستقبلية؛ تحديد الرؤية الاقتصادية للدولة وعلى أساسها يتمّ اعتماد نظام سعر صرف جديد لإنهاء «عجيبة» تعدّد أسعار الصرف وجريمة الاستمرار في تثبيت الليرة على السعر الوهمي 1507,5 ليرة/دولار. الحكومة الجديدة ليست بحاجة إلى تشكيل لجان عدّة وتعيين المستشارين للبحث في «خطّة الإنقاذ المالي»، ولا لإضاعة الوقت على عشرات الجلسات الوزارية، فالخطّة التي وضعتها حكومة الرئيس حسّان دياب موجودة، ويمكن اعتمادها كأساس لانطلاق خطة إنقاذ مالي - اقتصادي، بعد تعديل أرقام الخسائر والسياسات بما يتناسب مع التغيرات التي طرأت على مدى السنتين الماضيتين، وليس بما يتناسب مع مصالح «حزب المصرف». يعني ذلك وجوب إطلاق التدقيق الجنائي في حسابات البنك المركزي والمصارف، وعزل رياض سلامة من منصبه ومحاكمته كمُشتبه باختلاس وتبييض أموال واستغلال وظيفي.

في مقابلة مع تلفزيون «الشرق» السعودي، قال ميقاتي أمس إنّه سيسعى لبدء المفاوضات مع صندوق النقد. تظنّ المنظومة الحاكمة أنّها «أذكى» من مؤسسات الاستعمار المالي، وتستطيع أن ترفض «إملاءاته»، وفي الوقت نفسه تحصل منه على قرض يتراوح ما بين الـ4 والـ8 مليارات دولار كحدّ أقصى. الدولارات التي تبغاها الحكومة من صندوق النقد، هي قادرة على تأمين أكثر منها لو عقدت العزم على العمل وفق خطة منطقية ومفيدة للسكان على المدى الطويل. تستطيع الحكومة أن تُجبر المصارف على إعادة الأرباح التي جنتها من الهندسات المالية التي نفّذها لها حاكم مصرف لبنان، رياض سلامة منذ عام 2015. أكثر من 6,5 مليار دولار هي الأرباح التي جنتها المصارف عام 2016 وحدها جزّاء الهندسات، استعادتها بالتوازي مع تطبيق التعميم 154 الصادر عن «المركزي» ويطلب فيه من المصارف إعادة 30 في المئة من مجموع الدولارات التي حوّلها إلى الخارج أصحابها وكبار المساهمين والمدراء العامون والأشخاص المُعرضون سياسياً، واستعادة الدولارات الناتجة من الفوائد الخيالية على الودائع بالعملات الأجنبية، يُجنّب لبنان الخضوع لوصاية صندوق النقد وتقديم تنازلات سيادية ويؤمّن العملة الصعبة.

إدخال الدولارات إلى لبنان وكسر دوّامة «تهريبها» يتم أيضاً من خلال تعزيز الإنتاج الوطني: زراعياً، صناعياً، تكنولوجياً، خدماتياً وحمايته. الحماية تعني إعادة دراسة سياسة الاستيراد من أصلها، لجهة المسموح والممنوع والرسوم الجمركية التي ينبغي أن يكون هدفها تطوير الإنتاج المحلي، وزيادة النمو. هذا الإجراء، يؤمّن إذا ما ترافق مع إقرار قانون المنافسة العامة، تفكيك سلطة الاحتكارات والكارتيلات، ومنع استبدادها بأمن السكان الغذائي والطاقوي والصحّي والحياتي. النقطة المحورية أيضاً، التي يُعاني منها لبنان، واستمرار رياض سلامة في خنق المجتمع عبر تقنين الاعتمادات التي يفتحها لاستيراد البنزين والمازوت، يجب إطلاق خطة نقل عام لتخفيف الاعتماد على السيارات، بالتالي تخفيض استهلاك البنزين. تأهيل وزيادة إنتاج مؤسسة كهرباء لبنان، والبحث عن عقد اتفاقات من دولة لدولة جديدة لتأمين الطاقة، أمران ضروريان لتخفيف الاعتماد على المولدات الخاصة والفاتورة المرتبطة بها. وقد سلّطت الأزمة الضوء على أهمية الانتقال لاعتماد وسائل الطاقة البديلة، الشمسية مثلاً، فيتم ذلك بناءً على خطة وطنية بالتعاون مع البلديات، ولا يكتمل حلّ للأزمة من دون إنهاء سلطة «كارتيل الدواء» على وزارة الصحة والمؤسسات العامة، وفرضه الشروط التي تُناسبه لجهة الأسعار ونوعية الأدوية المستوردة وصولاً إلى إخفائها عن محتاجيها. تستطيع وزارة الصحة استيراد الدواء باتفاقيات من دولة لدولة، وإنشاء مراكز صحية يتمّ فيها توزيع الدواء على من يحمل وصفة طبية، أو بيعه بأسعار رمزية.

أما في المواضيع السياسية، فأمام الحكومة تحدّي إعادة العلاقات مع سوريا إلى طبيعتها لتتوافق مع معاهدة التعاون الموقعة بين البلدين، وتتجانس مع واقع أنّ الدولتين - وتحديداً لبنان - لا يتعافى اقتصادياً إلا بعلاقة جيدة مع دمشق. أما على الحدود مع فلسطين المحتلة، فلا يجوز الانتظار أكثر لبدء التنقيب عن الغاز والنفط، أو ربط المسألة بالتفاوض مع العدو، وواحد من أدوات تحقيق هذا الهدف، وضع حدّ للتغوّل الأميركي في الإدارات العامة وقيادة الجيش وبقية المؤسسات الأمنية. عدم الخضوع للتهديدات التي تحول دون تحقيق مصالح لبنان، يتطلّب بلورة خطاب دبلوماسي وخطة خارجية قائمة على تنويع العلاقات السياسية - الاقتصادية.

**ولاية الحكومة قصيرة، لكنها كافية لاتخاذ إجراءات سريعة وفعّالة**

ومن البنود الرئيسية على طاولة الحكومة، تصحيح النظام الضريبي، وجعله أقل ظلماً، عبر زيادته تصاعدياً على الدخل الموحد للأسر. تحت هذه الإجراءات الأساسية اقتصادياً، وذات الانعكاسات الكبيرة اجتماعياً، يتفرّع العديد من العناوين وليست بحاجة سوى إلى قرار لتُنفّذ. أمام أزمة المحروقات التي تُعاني منها لبنان، واستمرار رياض سلامة في خنق المجتمع عبر تقنين الاعتمادات التي يفتحها لاستيراد البنزين والمازوت، يجب إطلاق خطة نقل عام لتخفيف الاعتماد على السيارات، بالتالي تخفيض استهلاك البنزين. تأهيل وزيادة إنتاج مؤسسة كهرباء لبنان، والبحث عن عقد اتفاقات من دولة لدولة جديدة لتأمين الطاقة، أمران ضروريان لتخفيف الاعتماد على المولدات الخاصة والفاتورة المرتبطة بها. وقد سلّطت الأزمة الضوء على أهمية الانتقال لاعتماد وسائل الطاقة البديلة، الشمسية مثلاً، فيتم ذلك بناءً على خطة وطنية بالتعاون مع البلديات، ولا يكتمل حلّ للأزمة من دون إنهاء سلطة «كارتيل الدواء» على وزارة الصحة والمؤسسات العامة، وفرضه الشروط التي تُناسبه لجهة الأسعار ونوعية الأدوية المستوردة وصولاً إلى إخفائها عن محتاجيها. تستطيع وزارة الصحة استيراد الدواء باتفاقيات من دولة لدولة، وإنشاء مراكز صحية يتمّ فيها توزيع الدواء على من يحمل وصفة طبية، أو بيعه بأسعار رمزية.

أما في المواضيع السياسية، فأمام الحكومة تحدّي إعادة العلاقات مع سوريا إلى طبيعتها لتتوافق مع معاهدة التعاون الموقعة بين البلدين، وتتجانس مع واقع أنّ الدولتين - وتحديداً لبنان - لا يتعافى اقتصادياً إلا بعلاقة جيدة مع دمشق. أما على الحدود مع فلسطين المحتلة، فلا يجوز الانتظار أكثر لبدء التنقيب عن الغاز والنفط، أو ربط المسألة بالتفاوض مع العدو، وواحد من أدوات تحقيق هذا الهدف، وضع حدّ للتغوّل الأميركي في الإدارات العامة وقيادة الجيش وبقية المؤسسات الأمنية. عدم الخضوع للتهديدات التي تحول دون تحقيق مصالح لبنان، يتطلّب بلورة خطاب دبلوماسي وخطة خارجية قائمة على تنويع العلاقات السياسية - الاقتصادية.

24 وزيراً عُيّنوا بعد سنة وشهر من الفراغ الحكومي، خلفيات معظمهم تُلغي الحاجة إلى «منح الفرصة» لمعرفة ما سيُنجزون. بين رئيسها نجيب ميقاتي، ووزير المالية يوسف خليل، مُنفّذ ومغطٍّي مخالفات سلامة، ووزير الاقتصاد أمين سلام الذي يتباهى بعلاقاته الأميركية ويُنظّر لتوسيع النفوذ الأميركي في لبنان ومنع تمدّد حزب الله، ونائب رئيس الحكومة سعادة الشامي الممثل لمصالح البنك الدولي وصندوق النقد... يتطلّب تنفيذ هذه القرارات انقلاباً من الوزراء على أنفسهم. ليس المطلوب من هذه الحكومة تحقيق الحد الأدنى الذي يمنّي بعض أعضائها النفس به على قاعدة أن «البلد منهار، وكل ما سيتحقق يعني تحسيناً في حياة السكان»؛ بل المطلوب هو الحد الأقصى، لأن تضييع كل دقيقة من الوقت يعني بقاء اللبنانيين وعموم السكان عقوداً في حالة الدمار التي يعيشون فيها حالياً. كثير من الأسماء الواردة في التشكيلة الحكومية لا يوحي بأن ما تقدّم سيتحقق، بل يبشّر بأن الأكثر ضعفاً في المجتمع سيدفعون المزيد من الأثمان، وأن أقصى ما سنقوم به الحكومة هو ترميم ما أصاب المنظومة، على حساب الأكثر فقراً. في يوم ولادة الحكومة، من الساذجة عقد الأمل على أن يصدم وزراء المصارف ومؤسسات الاستعمار المالي عموم اللبنانيين، ويحوزوا ثقتهم!

(الأخبار)

## حكومة الـ24

يتألّف مجلس الوزراء، برئاسة نجيب ميقاتي، من:

نائب رئيس الحكومة سعادة الشامي، وزير الخارجية والمغتربين عبد الله بو حبيب، وزير التربية والتعليم العالي عباس حلبي، وزير الإعلام جورج قرداحي، وزير العدل هنري خوري، وزير الشباب والرياضة جورج كلاس، وزير الدفاع العميد موريس سليم، وزير المهجرين عصام شرف الدين شهيب، وزير المالية يوسف خليل، وزيرة الدولة لشؤون التنمية الإدارية نجلا رياشي، وزير الشؤون الاجتماعية هيكتور الحجار، وزير الصناعة جورج بوشكيان، وزير الاتصالات جوني قرم، وزير السياحة وليد نصار، وزير الداخلية والبلديات بسام مولوي، وزير الصحة العامة فراس الأبيض، وزير الطاقة والمياه وليد فياض، وزير الثقافة محمد وسام مرتضى، وزير البيئة ناصر ياسين، وزير العمل مصطفى بيرم، وزير الزراعة عباس الحاج حسن، وزير الأشغال العامة والنقل علي حمية، وزير الاقتصاد والتجارة أمين سلام.

إضاءة

# جبران رابحاً أول

**وفيق قانصوه**

بعد عامين من الحرب المفتوحة التي بدأت في 17 تشرين الأول على عهد ميشال عون و«خليفته» جبران باسيل، و13 شهراً من محاولات إقصائهما عن المشهد الحكومي، خرج الرجلان منتصرين من معركة تأليف أريد لها أن تكون استكمالاً لتلك الحرب. عملياً وفي قراءة أولية ثبت عون ما تمسك به منذ اللحظة الأولى: رئيس الجمهورية ليس «باشكاتب» والحكومة لا ترى النور من دون موافقته، ناهيك عن توقيعه. لم تر حكومة نجيب ميقاتي النور إلا بعد التفاهم على كل فاصلة ونقطة مع عون، وللرئيس رأي في الحكومة يساوي رأي رئيسها، وفشلت كل محاولات نادي رؤساء الحكومات السابقين، ومنظّرهم فؤاد السنيورة في فرض أعراف جديدة. كذلك تمكن عون وتياره من تحقيق ما أراداه منذ اللحظة الأولى: وزارتان سياديتان، واثنتان رئيسيتان واثنتان خدماتيتان؛ 6 وزراء لرئيس الجمهورية مع وزيرين للطاشناق وطلال إرسلان، والتفاهم على الوزيرين المسيحيين المتبقيين. حتى في عقدة الاقتصاد والشؤون كان لعون ما أراده: سمي سنياً للاقتصاد وافق عليه ميقاتي، ووافق على مسيحي للشؤون سماه الأخير.

نال عون ما أراده من دون أن يغادر مربع التسهيل والمرونة لإدراكه أن الحكومة حاجة لعهده؛ وافق على يوسف خليل رجل رياض سلامة، وتخلى عن المطالبة بالداخلية لمسيحي، ولم يمانع إعطاء التربية لوليد جنبلاط والاتصالات لسليمان فرنجية.

أما في يتعلق بالثقة للحكومة، فلا يزال الكلام هو نفسه: يمنحها التيار بناء على التركيبة والبرنامج من دون التزام مسبق.

ولعل أبرز النقاط التي سجلها العهد وتياره بعد «ثورة» لم تر فاسداً سوى جبران باسيل، وبعد عام من اتهامه بعرقلة التشكيل، أن الضغط الدولي والمحلي في الأيام الأخيرة تركز على الرجل من أجل... التدخل!

هذا على جبهة الرابحين. أما جبهة الخاسرين فيتربع فوق رأسها بلا منازع سعد الحريري الذي كانت حكومة كهذه في متناول يده منذ اليوم الأول لتكليفه، لولا أن طويل العمر لم يأذن له.

تقرير

# ميقاتي يؤلّف بإيعاز فرنسي و«قبّة باط» أميركية: حكومة الأسماء «الملغومة»

**اكتمل النصاب الداخلي والخارجي. فولدت الحكومة. عاد نجيب ميقاتي إلى السرايا رئيساً. بعد مارفع الأميركيون الفيتو. وأوعز له الفرنسيون بتشكيل «أي حكومة» سريعاً. أما هويتها السياسية، فستحددها في ما بعد «الأسماء الملغومة» التي وُصفت بأنها «تقاطع بين رئيسَي الجمهورية والحكومة»**

**ميسم رزق**

بات مؤكداً أن صورة الحكومة التي سيتوسّطها رئيسا الجمهورية ميشال عون والحكومة نجيب ميقاتي ومعهما رئيس المجلس النيابي نبيه برّي تشكّل في التوازنات التي رسَت عليها أخيراً، انتصاراً لصالح عون والتيار الوطني الحرّ في لعبة الأحجام. أما في السياسة العامة فكانت خسارة للاعبين الخارجيين الذين كانوا يُريدون للبلاد مساراً انهيارياً شاملاً، كما للرئيس سعد الحريري الذي خرج من الحكم، وبقيت له حصة وزارية غير وازنة.

كان يُمكن لحكومة كهذه أن تُولد بعد استقالة الرئيس حسان دياب بأيام. كل الظروف كانت متوافرة. انفجار وانهيار، جرحى، شهداء ودمار و«هجمة» سياسية دولية ومبادرة فرنسية. بقيت الحكومة عصيّة على التأليف. كلما وضع طرف مفتاحاً للحل في القفل الأمامي، قابله الآخر بمزلاج من الخلف. هكذا، استمر التعطيل ثلاثة عشرة شهراً، قبل أن ينجح ميقاتي في ما فشل به الرئيس سعد الحريري! السبب ليس في الأخير نفسه، إنما في التطورات التي لحقّت بتكليف ميقاتي، وهي التطورات التي فرضت على الولايات المتحدة الأميركية تغيير مقاربتها للأزمة اللبنانية مخافة تأثير الانهيار على مصالحها. استفادت باريس من هذه اللحظة، مكثفة اتصالاتها في اليومين الماضيين لأجل تشكيل حكومة «كيف ما كان»، بعدَ أن استماتت لتحقيق إنجاز خارجي تصرفه في حسابات إيمانويل ماكرون الداخلية، ونجحت أخيراً بـ«قبّة باط» أميركية.

بات الكلام اليوم عن الأسباب التي عطّلت تشكيل الحكومة طيلة الأسابيع الماضية خارج السياق، وحلّ مكانه البحث في الدوافع التي أدت إلى انطلاقتها وهويتها السياسية التي من الصعب حالياً حسمها، كما قدرتها على توظيف عمرها القصير نسبياً - ينتهي مع الانتخابات النيابية في الربيع المقبل - في اجتراح حلول للملفات التي تهمّ اللبنانيين.

وفقاً للمعلومات، سيدخل ميقاتي إلى السرايا رئيساً للحكومة للمرة الأولى في عهد عون نتيجة عوامل داخلية وخارجية تقاطعت على الشكل التالي: أولاً، تغيير الإدارة الأميركية مقاربتها للأزمة اللبنانية. بعدَ «17 تشرين» كان واضحاً بأن الأميركيين أخذوا قراراً بتضييق الخناق والحصار على لبنان، في سياق حربهم على المقاومة، الرأي الغالب في عهد الرئيس الأميركي دونالد ترامب كان يقول بأن الانهيار سيوزع حزب الله في الداخل ويزيد من الأثقال الملقاة على عاتقه. غيّر أن إعلان الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله عن باخرة المحروقات الإيرانية خلط كل الأوراق، بعدَ تأكد إدارة جو بايدن بأن الحزب قرر كسر الحصار ومواجهته بطرق غير تقليدية. ومن ذلك الحين، كثفت السفيرة الأميركية في بيروت دوروثي شيا حراكها لدى المعنيين وبدأ الضغط لتشكيل حكومة سريعاً بعدَ أن وجدت إدارتها الجديدة بأن الانهيار الشامل سيكون لغير صالح الولايات المتحدة.

ثانياً، الموقف الأميركي المستجدّ دفع بباريس إلى التحرّك مجدداً، مع إيران ومن ثم مع الأطراف المحلية. منذ طرحها المبادرة الفرنسية، لم توفّر باريس وسيلة ترهيب أو ترغيب إلا واستخدمتها من أجل تأليف حكومة، أرادت من خلالها القول إنها لا تزال لاعباً قوياً في الإقليم، وقادرة على أن تكون «حألة مشاكل» وعزابة تسويات. الفيتو السعودي واللامبالاة الأميركية لم يسعفاها، إلى أن أتت ساعة الحسم، التي فرضتها تطورات الإقليم، والاتفاقات الجديدة التي سمحت أميركا للبنان أن يعقدها في إطار التخفيف من أزمته (استجرار الغاز من مصر، والكهرباء من الأردن، عبر سوريا). أول من أمس، تواصل الفرنسيون، تحديداً مدير الاستخبارات الخارجية برنارد إيميليه، مع ميقاتي ناقلاً له قرار الإليزيه بتأليف حكومة سريعاً، وعدم وضع عقبات حتى لو اضطر إلى التنازل عن بعض شروطه.

ثالثاً، أمام هذين التطورين بدأ البحث عن إخراج لا يُحرج ميقاتي أمام طائفته وبيئته. بدأ النقاش من وزارة «الاقتصاد» أمّ العقد. تقول المعلومات إنه جرى الاتفاق على أن تبقى من حصّة السنة كما أراد ميقاتي، على أن تسمية الوزير ستكون من حقّ رئيس الجمهورية. وفي المقابل، يسمّي ميقاتي توظيف عمرها القصير نسبياً - ينتهي مع الانتخابات النيابية في الربيع المقبل - في اجتراح حلول للملفات التي تهمّ اللبنانيين.

وفقاً للمعلومات، سيدخل ميقاتي إلى السرايا رئيساً للحكومة للمرة الأولى في عهد عون نتيجة عوامل داخلية وخارجية تقاطعت على الشكل التالي: أولاً، تغيير الإدارة الأميركية مقاربتها للأزمة اللبنانية. بعدَ «17 تشرين» كان واضحاً بأن الأميركيين أخذوا قراراً بتضييق الخناق والحصار على لبنان، في سياق حربهم على المقاومة، الرأي الغالب في عهد الرئيس الأميركي دونالد ترامب كان يقول بأن الانهيار سيوزع حزب الله في الداخل ويزيد من الأثقال الملقاة على عاتقه. غيّر أن إعلان الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله عن باخرة المحروقات الإيرانية خلط كل الأوراق، بعدَ تأكد إدارة جو بايدن بأن الحزب قرر كسر الحصار ومواجهته بطرق غير تقليدية. ومن ذلك الحين، كثفت السفيرة الأميركية في بيروت دوروثي شيا حراكها لدى المعنيين وبدأ الضغط لتشكيل حكومة سريعاً بعدَ أن وجدت إدارتها الجديدة بأن الانهيار الشامل سيكون لغير صالح الولايات المتحدة.

ثانياً، الموقف الأميركي المستجدّ دفع بباريس إلى التحرّك مجدداً، مع إيران ومن ثم مع الأطراف المحلية. منذ طرحها المبادرة الفرنسية، لم توفّر باريس وسيلة ترهيب أو ترغيب إلا واستخدمتها من أجل تأليف حكومة، أرادت من خلالها القول إنها لا تزال لاعباً قوياً في الإقليم، وقادرة على أن تكون «حألة مشاكل» وعزابة تسويات. الفيتو السعودي واللامبالاة الأميركية لم يسعفاها، إلى أن أتت ساعة الحسم، التي فرضتها تطورات الإقليم، والاتفاقات الجديدة التي سمحت أميركا للبنان أن يعقدها في إطار التخفيف من أزمته (استجرار الغاز من مصر، والكهرباء من الأردن، عبر سوريا). أول من أمس، تواصل الفرنسيون، تحديداً مدير الاستخبارات الخارجية برنارد إيميليه، مع ميقاتي ناقلاً له قرار الإليزيه بتأليف حكومة سريعاً، وعدم وضع عقبات حتى لو اضطر إلى التنازل عن بعض شروطه.

ثالثاً، أمام هذين التطورين بدأ البحث عن إخراج لا يُحرج ميقاتي أمام طائفته وبيئته. بدأ النقاش من وزارة «الاقتصاد» أمّ العقد. تقول المعلومات إنه جرى الاتفاق على أن تبقى من حصّة السنة كما أراد ميقاتي، على أن تسمية الوزير ستكون من حقّ رئيس الجمهورية. وفي المقابل، يسمّي ميقاتي من الأسماء «الملغومة» والتي يصفها فريقا رئيس الجمهورية والحكومة بأنها نقطة تقاطع بين عون وميقاتي على قاعدة لا من حصة هذا أو ذاك، بل هي «نصّ نصّ»، وهو ما سيحسمه سير الأمور داخل مجلس الوزراء خلال مواجهة مجموعة من التحديات.

**السنيورة اعترض على التشكيلة قبل صدورها، فصدّه ميقاتي وبري وجنبلاط**

ما لا يحتمل التشكيك هو حصول رئيس الجمهورية على حصّة من 8 وزراء، هم: وزير الخارجية (عبدالله بو حبيب)، وزير العدل (هنري خوري)، وزير الدفاع (العميد المتقاعد موريس سليم)، وزير الطاقة (وليد فياض)، وزير الشؤون الاجتماعية (هيكتور حجار)، وزير الاقتصاد أمين سلام الذي سمّاه النائب جبران باسيل، وزير الصناعة (جورج دباكيان - محسوب على الطاشناق)، ووزير المهجرين (عصام شرف الدين - محسوب على النائب طلال إرسلان).

بينما نال ميقاتي بالإضافة إلى الرئاسة، بسّام المولوي (وزيراً للداخلية)، وحصة الحريري فراس الأبيض (وزيراً للصحة) وناصر ياسين (وزيراً للبيئة).

أما التدقيق في خلفية بعض الوزراء فيوحي بأن هناك ثلثاً مقنعاً سيظهر لاحقاً، بخاصة أن الأسماء التي قيل بأنه جرى التوافق عليها، تؤكّد مصادر مطلعة بأنها مثالة لأن تكون من حصة عون، على سبيل المثال تقول المصادر إن «سمّى ميقاتي وليد نصار لوزارة السياحة. إلا أن عارفيه يدركون بأن له ميولاً عونية. أما وزيرة التنمية الإدارية نجلا رياشي عساكر، فيمكن القول إنها أقرب إلى عون من ميقاتي، كذلك وزير الشباب والرياضة جورج كلاس الذي كان في المكتب التنظيمي لحركة أمل». يبقى نائب رئيس الحكومة سعادة الشامي - المحسوب على النائب أسعد حردان - من حصّة الكل)!

وهذا الثلث المقنّع، أشارت المصادر إلى أنه كان سبباً في استياء الرئيس فؤاد السنيورة، إذ علمت «الأخبار» أنه التقى ميقاتي قبل يوم من زيارته لبعبدا وسجّل اعتراضاً عليه. ولما لمس بأن ميقاتي ماضٍ في التأليف ولن يتراجع، حاول التواصل مع رئيس مجلس النواب الذي أكد بأنه «لن يعطل الحكومة وأن هناك قراراً دولياً بتشكيلها»، بينما تعامل رئيس الحزب الاشتراكي مع هذا الاعتراض بـ«لا مبالاة».

في المحصلة، يتفق الجميع على أن التصويت لاحقاً في مجلس الوزراء هو ما سيكشف الهوية السياسية للأسماء التي يدعي الطرفان بأنها سمّيت بالتوافق. علماً أن غالبية المعنيين الذين اطلعوا على سير المداولات الحكومية يؤكدون بأن حصة عون وفريقه، لا تقلّ (ضمنياً) عن 9 وزراء.

( مروان بوحيدر)

قضية اليوم

# لا تبيعوا دولاراتكم: «اقتصاد الكازينو» مليء بالوحوش

**محمد وهبة**

في 21 أيار 2008، استفاقت بورصة بيروت على «طلب لافت». أتى ذلك تزامناً مع إعلان اتفاق الدوحة. يومها ارتفع سعر سهم «سوليدير» الذي كان مُدرجاً في بورصة لندن إلى 40 دولاراً للسهم. وفي بورصة بيروت بلغ سعر السهم 31 دولاراً بفئتيه (أ) و(ب). في تلك الفترة لم تقم الشركة، التي استولت على أملاك اللبنانيين بأوسع غطاء سياسي بعد الطائف، بأيّ عمل يرفع سعر سهمها، بل كانت شبه متوقفة عن العمل وآيلة إلى الإفلاس، وهو أمر بدأت ملامحه تظهر بوضوح بعد عام 2015. أسهم الشركة كانت عبارة عن فخّ يُستدرج إليه كلّ المغفّلين الباحثين عن ربح ريعي سريع. اقتصاد الكازينو كان يغلي في عروقهم. كانوا يصدّقون بأن اتفاق الدوحة، أو حتى تأليف حكومة، أو أي خبر سياسي يُصنّف

> سيُرفع الدعم نهائياً، وليست هناك اي خطة لوقف تداعيات الانهيار وتسارع الانحدار نحو جهنّم التحتا

بطريقة ما «إيجابياً»، سيعود عليهم بأرباح سريعة في أسهم سوليدير، بينما الواقع هو أن هناك وحوشاً ينتظرون هؤلاء المغفّلين ليكسبوا على حسابهم ريوعاً إضافية بالجملة. ففي نهاية الأمر، يوم الاتفاق هو يوم قطاف الريوع للكبار على حساب الصغار.

هو الكازينو نفسه الآن مع فوارق لا تغيّر في جوهر اللعبة شيئاً. الكازينو أفلس، لكنّ الناس لا يزالون يقعون في أفخاخه. فمع كل خبر سياسي يتم تصنيفه «عشوائياً» أو بشكل «ممنهج» ومقصود، تتكرّر المأساة نفسها، تأليف الحكومة، حتى زيارات الرؤساء المكلّفين إلى بعبدا كانت خبراً «مفرحاً». كلّها كانت عبارة عن أفخاخ ينصبها الوحوش. هذه المرّة الوحوش من نوع مختلف: مضاربون على العملة بالجملة والمفرّق، صرافون، مصرفيون خلف وتحت ووراء الطاولة، تجّار بكل أشكالهم الاحتكارية وأزلامهم على المفارق... عند كل حدث سياسي مرتبط بما ستقوم به الحكومة. الصرف، وينتهي الأمر بارتفاعه مجدداً بعد عملية «القطاف».

ما يحصل هو أن تحقّق المتنبّأ به، يجعل الشائعة حقيقية مع أن الأمرين منفصلان نسبياً أحدهما عن الآخر. تشكيل الحكومة لا علاقة له فعلياً بسعر الصرف، بل إذاً، هل تغيّر أمر ما لينخفض سعر الصرف؟ لا. هل كشفت الحكومة عن مشروع ثوري يجعل سعر الصرف ينحدر بعيداً عن مستواه؟ لا. هل لوّح أحد ما بأيّ معجزة في الأفق، بينما المقيمون في لبنان مشغولون بالبحث عن تغطية حاجاتهم اليومية الضرورية؟ لا. الحقيقة أن الوحوش يشترون على وقع الشائعات، ويبيعون في اليوم التالي أو بعد أيام لا فرق. ألم يسأل الناس الذين يتهافتون على بيع دولاراتهم المخزّنة: من يشتريها ولماذا يشتريها؟ ألا يعتقدون أنه لو كانت هناك خسائر في هذه الدولارات لما اشتراها أحد. هؤلاء المغفلون الذين يصدّقون الشائعات هم أنفسهم الذين صدّقوا أن مصرف لبنان والمصارف ستدفع فوائد تصل إلى 25% على ودائع الدولار فقط لأنها «كريمة». اعتقدوا أنها فرصة. هم أنفسهم لم يلاحظوا أن الفوائد الباهظة تعني أن المشكلة كبيرة وأن الآتي أعظم.

(الأرشيف ـ مروان طحطح)

اللاءات التي يمكن استخراجها من الأسئلة المتصلة بتشكيل الحكومة كثيرة. رغم ذلك ينجرّ الكثير من الناس نحو الفخّ مباشرة. رئيس الحكومة نجيب ميقاتي نفسه قالها على الهواء مباشرة مع «دمعة حزينة»: «سأطرق كل باب متاح... لم يقل بأنه يسعى لإعادة هيكلة الديون. لم يقل بأنه سيسعى لإعادة هيكلة القطاع المصرفي. لم يقل بأنه سيوقف مسار إطفاء الخسائر القائم على تضخيم الأسعار. لم يقل بأنه سيوحّد سعر صرف الليرة مقابل الدولار. لم يقل بأنه سيحاسب. لم يقل بأنه سيطوي الصفحة ويبدأ صفحة جديدة بعد نسيان الماضي. حتى هذه لم يقلها. لم يقل بأنه سيقوم بأيّ أمر استثنائي. كل ما قاله هو أنه سيقوم بجولة تسوّل دولية - عربية. خطابه الدامع كان يهدف إلى إخفاء حقيقة أن الوصاية الدولية ارتأت لأسباب وأسباب، وأن الأموال المتاح استخدامها للبنان لاستيراد الغذاء والمشتقات النفطية الضرورية شحّت، وأن خطة حاكم مصرف لبنان رياض سلامة لإطفاء الخسائر متواصلة بتعدّدية أسعار الصرف وبتضخيم كل أسعار السلع الأساسية والضرورية وأخرها السلع المدعومة التي تضاعفت أسعارها مرات ومرات وهي مقنّنة وتباع في السوق الحرّة (السوداء) حيث سعر الدولار الحقيقي... كل ذلك يعني أن تقلبات سعر الصرف عند الصرّافين ليست تقلبات حقيقية، بل أفخاخ.

يقول أحد المضاربين الصغار: «سينخفض سعر الصرف ثم يرتفع تدريجياً. أنا سأشتري عند هذا السعر (...) لكن في النهاية أعلم أنه بعد فترة سيُرفع الدعم نهائياً، وليست هناك أي خطة لوقف تداعيات الانهيار وتسارع الانحدار نحو جهنّم التحتا... شراء الدولار هو وسيلة النجاة بالنسبة إليّ». لو كنتم «مضاربجية» لاحتفظتم بدولاراتكم. أقولها لهؤلاء الذين لا يملكون سوى قوت يومهم وبأتيهم بعض من الدولارات من مغتربين، أو حتى كانت لديهم مخزّنة. باقي أفراد «اقتصاد الكازينو» فليلعبوا مع الوحوش.



مقالة

# تأمّلات في التحدّيات التي تواجه الحكومة العتيدة

**القاضي محمد وسام عدنان المرتضى ***

كلّ مُخلِص وواعٍ من أبناء هذا الوطن قد رصد بحزنٍ ووجع ما آلت إليه الأمور واستشرف بقلقٍ وهلعٍ احتمالات الانحدار إلى قعرٍ لا رجعة منه، وجميعنا قد استوطن قلبه هَمٌّ أوحد هو هذا الكمُّ من الانهيارِ الذي أصاب البلد من «رأسه إلى أخمص قدميه»: فنحنُ في «نكبة»، أفقدتنا «المناعة»، وشرّعتنا «للانفجار»، وعرّضت الشعب للذلّ والمجاعة، والعلم للاندثار، كما عرّضت المرافق للشلل والمشافي ومؤسسات أخرى للإقفال. أمّا عدوّنا فما برح يُمعن حقداً، ويتربّص شرّاً، وينسج مكائد، ويمنّي نفسه بأنّ هذا البلد - وما يختزنه من قُدُراتٍ وقيَم- ماضٍ إلى سقوطٍ وإلى إذعان الصاغر الذليل، لكن هيهات... فنحن أبناء «الرجاء»، وأبناء «وبشّر الصابرين»... نحن أهلُ الصمود، وأصحاب الصولات والجولات في مضماري المواجهة والنهوض... أما العدوّ فنبشّره بأنّه لن ينوبه منا إلاّ الأضعاف المضاعفة من الهزائم والخيبات.

وكُلّنا، إنْ عَقِلنا، أدركنا أنّ خلاصنا مرهونٌ بأن ننهض جميعاً - سلطةً وشعباً - نهضة شخصٍ واحد، فنوحّد الجهود، مترفّعين عن الخلافات والاختلافات، ثم ننبري إلى عملٍ دؤوب على نيّة أن يثمر تغييراً في واقعنا المرير ونجاةً مما يحدق بنا من شرور.

أمّا المدخل الأساس للشروع في ذلك كلّه فيتمثّل في انوجاد حكومةٍ قادرةٍ وأمينة، تأتي فتستلم الدفّة، وتنهض بالسفينة من القعر، وتنطلق بها متجاوزةً الأمواج التي تتلاطمنا اقتصادياً ونقدياً واجتماعياً وسياسياً وأمنياً وضغطاً دولياً، وتوصلها، إنْ لم يكن إلى برّ أمان، فأقلّه إلى مياهٍ أقلّ جنوناً. ولهذه السفينة راعٍ هو فخامة رئيس الجمهورية، كما أنّ لها ربانٌ هو دولة رئيس الحكومة، وطاقمٌ هم الوزراء فيها، ورقيبٌ هو البرلمان الذي يوجّه ويصوّب ويرفد بالتشريعات اللازمة. أمّا الآليّة الدستورية الواجبة الإتّباع فلا يعتقدنّ أحدٌ أنّها ما برحت مقتصرةً على استشاراتٍ يليها تكليفٌ ومن بعده تأليفٌ يُتوّج بمنح ثقة المجلس النيابي، إذْ ثمّة ثقةٌ أخرى مصدرها «الوجدان الشعبي» لا محيد عن اكتسابها لما لها من بالغ الأثر على مستوى تشديد العزم وتفعيل الزخم.

أمّا منح هذه الثقة فدونه تحدّيات ينبغي السعي إلى مواجهتها وتذليلها وهي تتمثّل في الآتي:

● التحدّي المتمثّل في زَرْع انطباعٍ -بالفعل لا بالشعار- لدى اللبنانيين جميعاً بأنّ هذه الحكومة خشبة خلاصهم وأنّها مصممةٌ على النجاح وعلى تحقيق شيءٍ جديد يرتقي إلى خطورة المرحلة التي تمرّ فيها البلاد، وأنها قويةٌ ومصرّةٌ على خدمة وطنها وأبنائه، وأنّها تضمّ طاقماً وزارياً متآلفاً للعمل كفريق واحد يتمتّع كلّ فردٍ من أفراده بالوطنية وبالنزاهة وبالقدرة العلمية وبالخبرة العملية وبالدينامية والرؤيوية، فلا فاسد بينهم أو «هزيل» أو معرقل... وجميعهم ملتزمٌ تنفيذ برنامج عملٍ وحيد هو البرنامج الإنقاذي الذي ستعمل الحكومة على إنجازه.

● التحدّي المتمثّل في إقناع من يلزم بأنّ لا تعارض بين أن تسمّي القوى السياسية ممثلين لها في الحكومة، تفرّداً أو توافقاً، وبين تشكيل حكومة تُرضي طموح الشعب اللبناني وتطلّعاته، طالما أنّ من أسمته تلك القوى يستوفي جميع تلك الشروط (أيّ النزاهة والقدرة والخبرة والدينامية والاستعداد للعمل بنَفَس الفريق الواحد والاستعداد للالتزام بذلك البرنامج الإنقاذي دون غيره، وهو البرنامج الذي يقتضي أن يكون مرحلياً مشروع جميع تلك القوى السياسية والقاسم المشترك بينها بغضّ النظر عن خلافاتها واختلافاتها). فلا بدّ إذن من إشعار الناس بأنّ مواجهسم مأخوذةٌ في الاعتبار لانهم «كفروا» بجميع التجارب السابقة (على قاعدة المثل الشعبي «من يُكوى بالحليب يَنْفُخُ على اللبن»...) فلا غروَ إنْ توجسّوا من أنّ يكون أداء الحكومة العتيدة على مثال أداء حكومات سابقة يحمّلونها - عن حقّ وكليّاً أو جزئياً - المسؤولية السياسية وغير السياسية عمّا آلت إليه الأوضاع في البلد.

● التحدّي المتمثّل في إقناع الرأي العام بأن الحكومة تضمّ وزراء يمثّلون بتطلّعاتهم تطلّعات «الحراك» خير تمثيل ولكنهم وفي الآن عينه لا يعملون من أجل تنفيذ «أجندات» مشبوهة؛ ولا يخفى أن ثمّة «متسللين» كثراً و«متسلقين» عدّة ركبوا موجة الحراك الشريفة تحقيقاً لمكاسب شخصية رخيصة أو تنفيذاً لمخططات خارجية خطيرة تستهدف إحداث البلبلة والفتنة والتخريب، وهذا برمّته يتعارض مع مصالح الشعب اللبناني ويتهدّد أمنه ومصيره.

● التحدّي المتمثّل في أن يعزّز رئيس الحكومة الانطباع بأنّه لا يحمل أجندة خفيّة ضدّ أحد، وبأنّه -بما ينسجم مع الميثاقية - خير ممثل لطائفته ولآمالها على مستوى السعي إلى خدمة الشعب كلّ الشعب وإنقاذ الوطن وحِفْظ اتفاق الطائف... هذا مع الاستعداد للمضي في مشروع إدخال تعديلات على هذا الاتفاق إذا ما استدعت ذلك المصلحة الوطنية العليا، وبأنّه يتطلّع إلى أحسن العلاقات مع أشقّاء لبنان وأصدقائه سعياً إلى تأمين عونهم ودعمهم إلاّ أنّه لن يتّردد مع الحكومة في البحث عن خيارات أخرى إذا ما بقيت آذان البعض صمّاء وقلوبهم موصدة والسبل بفعلهم مسدودة ونوايا التطويع والتركيع معقودة.

● التحدّي المتمثّل في أن يعمد كلّ وزير من وزراء هذه الحكومة إلى إحاطة نفسه بفريق عملٍ من الأكفّاء النزيهين المخلصين للوطن يرفدوه باقتراحات ومشاريع تتوخّى المصلحة العامة.

● التحدي المتمثّل في أن يتصرّف عديد هذه الحكومة على أساس أنّهم لا يسعون إلاّ للاشتراك في عملية إنقاذ بالتعاون مع مختلف القوى والأطياف، وأنّ لا يتوجّسوا من جهات ارتأت أن تبقى خارج الحكومة لأنّه بقدر ما هو مطلوبٌ أن نكون أمام حكومةٍ متجانسة ومدعومة من القوى السياسية ومن الوجدان الشعبي فإنّه مطلوبٌ أيضاً أن تكون ثمّة معارضة موجودة لكي تراقب وتوجّه النقد الموضوعي وتُسهم من ثَمَّ في إبقاء الأمور في نصابها السليم.

● التحدّي المتمثّل في أنّ يكون للحكومة برنامج عمل إنقاذي يكون واضحاً لجهة ترتيب الأولويّات، وحازماً لجهة مكافحة الفساد واسترداد المال العام المنهوب ومنع الاحتكار، واستعادة الثقة بمنطق دولة المؤسسات ومنطق حكم القانون والقضاء الفعّال والمنتج والعادل، ورؤيوياً لجهة الخطط الواجبة التطبيق فوراً وعلى المدى المتوسط تحقيقاً للتعامل مع الحجز في المالية العامّة، ولإيجاد حلول فورية ثم جذرية أيّ مستديمة لأزمات المحروقات والكهرباء، ومقوّمات الاستشفاء والدواء، ولحماية البيئة والغذاء ولحماية الثروة النفطية والشروع في الاستفادة منها، ولتمكين المودعين من استعادة أموالهم، ولتشجيع المستثمرين، ولرعاية شؤون المغتربين، ولإجراء ما يلزم لمنع انهيار القطاعين الطبي والتربوي، وبثّ الروح من جديد في القطاعات المصرفية والصناعية والسياحية وسائر مرافق الدولة ومنها مرفأ بيروت، ولإنعاش القطاع الزراعي وتسويق الإنتاج خارجياً وحمايته داخلياً، والالتفات الفعلي إلى الجانب الاجتماعي والمعيشي والتعامل مع تحدّياته لجهة الفقر والبطالة والتفلّت الأخلاقي والأمني، وآفّة المخدّرات التي تنهش نهشاً في جسد الجيل الصاعد وروحه وتتهدّد فعلياً حياته ومستقبله ومستقبل البلد، وتعزيز ثقافة الوحدة بين اللبنانيين على مستوى الآلام والمعاناة والآمال والتطلّعات، وأخيراً وليس آخراً ضمان إجراء الانتخابات على نحوٍ يخدم المصلحة الوطنية العليا ويضمن صحّة التمثيل.

● التحدّي المتمثّل في الحرص على «عدم تضييع البوصلة»، وفي أن تبقى العين على العدو وخطره وأطماعه وعلى مشاريع التوطين التي تقضّ مضاجع جميع اللبنانيين مقيمين ومغتربين، وهذا كلّه يستدعي التسليم بأنّ «قوّة لبنان هي في قوّته»، كما يستتبع رفد المؤسسة العسكرية بكلّ ما يلزم تثبيتاً لرفعتها وزيادةً لفعاليتها، وحفظ المقاومة التي أثبتت التجارب مع العدوين الصهيوني والتكفيري أنها الدرّع الحصينة والضامنة مع الجيش اللبناني لأمن الوطن والحامية وإيّاه لشعبه وأرضه وثرواته».

هذه التحديّات تمثّل القسم الأكبر من تطلّعات كل لبناني مخلص يرنو إلى زوال المحن وحماية الوطن... وهي للحكومة العتيدة موادّ في امتحان... وعند الامتحان يُكرم المرء بفضل جهوده وتيسّر الظروف وحُسْنُ النوايا... أو يُهان.

* وزير الثقافة

في الواجهة

# مَن يحكم لبنان في السنة الأخيرة: عون أم ميقاتي؟

ثالثة حكومات الرئيس نجيب ميقاتي رابعة حكومات عهد الرئيس ميشال عون. ليست بالضرورة الأخيرة في السنة الأخيرة من الولاية، لكنها تحتمل ان تكون كذلك إن لم تُجرّ الانتخابات النيابية

**نقولا ناصيف**

حتى الوصول إلى موعد الانتخابات النيابية في أيار 2022، يُفترض بحكومة الرئيس نجيب ميقاتي أن تملأ فراغاً بدأ قبل 13 شهراً منذ استقالة حكومة الرئيس حسان دياب، إلا أن أحداً لا يسعه، الآن على الأقل، الجزم بقدرتها على وقف الانهيار. حكومة اختصاصيين وأصحاب كفايات وبينهم مجرّبون، من غير أن يكونوا حتماً مستقلين، بعدما رافق مرحلة تأليفها كمّ لا يطاق من الشروط والشروط المضادة والتهويل، والصراع على الحقائب والمقاعد، والتنازع على الأكثريتين المقرّرتين في مجلس الوزراء: الثلثان، والثلث +1، من يحرّ إحداهما يحرم الآخر من الثانية.

أبسط ما يمكن استنتاجه من المسار الصعب والشائك الذي رافق التأليف، رغم أيامه القليلة وبالكاد بلغت 45 يوماً، أن كلا الرئيسين كانا يفكران في حكومة ما تبقى من الولاية، وفي مَن يقتضي أن يكون فيها أمناً لكليهما وموثوقاً به لملء شغور واحد حتمي، وأكثر من شغور محتمل في الأشهر المقبلة.

في نهاية المطاف لا ثلث معطلاً لفريق، ولا ثلثان مقرّران للفريق الآخر، في ظل وجود حزب الله على الحياد بين أكثريتين وهميتين كانتا، طوال الوقت المنصرم من التأليف، تتنافسان على الوصول إلى أي من النصابين الموصوفين. واقع الأمر أن الدور المقرّر لحزب الله في رعاية التوازنات داخل الحكم والسلطة، كما في فرضه في الشارع، يجعل كل أكثرية وهمية غير ذات نفع أو جدوى، وإن زعمت هذا الحجم. لم يكن صعباً تلمّس لحظة الحزب يراقب مسار التأليف من غير أن يتدّخل فيه، على وفرة ما فعله أفرقاء آخرون. قال لذوي الشأن إنه ينتظر تأليفها، وترك الرئيسين يختلفان طويلاً من غير أن يفترض أن استمرار الخلاف سيؤول إلى اعتذار ميقاتي.

بيد أن صدور مراسيمها أخيراً على نحو أرضى الأفرقاء المعنيين في ما مضى بتأليفها وحصصهم فيها، مقدار ما أرضى عون وميقاتي وكرّس - مرة أخرى - تفسير المادتين 53 و64 من الدستور بتأكيد شراكتهما في حرية التأليف، لا يقلل من أهمية الاستحقاقات التي تنتظرها:

أولها، أن رابعة حكومات عهد عون كسابقاتها، قد تكون ربما مخيّبة له لسبب وحيد، هو أنها ليست - وإن في السنة الأخيرة من الولاية - أولى حكومات العهد التي توقّعها في مطلعه، ووصل أو يكاد إلى خاتمته دونما تحقيق هذا الهدف. هي حكومة ائتلاف الكتل والأحزاب الرئيسية أكثر منها حكومة الرئيسين. شارك الائتلاف هذا في أدقّ تفاصيلها، وتسبّب مرة تلو أخرى في تأخير تأليفها بسبب تعارض الشروط والفيتوات المتبادلة التي بات يملكها الأفرقاء الرئيسيون. لم تعد فيتوات داخل مجلس الوزراء فحسب، بل باتت شراكتهما في مرحلة التأليف، لا يقلل من أهمية الاستحقاقات التي تنتظرها:

أولها، أن رابعة حكومات عهد عون كسابقاتها، قد تكون ربما مخيّبة له لسبب وحيد، هو أنها ليست - وإن في السنة الأخيرة من الولاية - أولى حكومات العهد التي توقّعها في مطلعه، ووصل أو يكاد إلى خاتمته دونما تحقيق هذا الهدف. هي حكومة ائتلاف الكتل والأحزاب الرئيسية أكثر منها حكومة الرئيسين. شارك الائتلاف هذا في أدقّ تفاصيلها، وتسبّب مرة تلو أخرى في تأخير تأليفها بسبب تعارض الشروط والفيتوات المتبادلة التي بات يملكها الأفرقاء الرئيسيون. لم تعد فيتوات داخل مجلس الوزراء فحسب، بل باتت شراكتهما في مرحلة التأليف، لا يقلل من أهمية الاستحقاقات التي تنتظرها:

> ظل حزب الله وتأثيره يجعل الأكثرية وهمية

بدا في الظاهر أنها أضعف سني الولاية، غير أنها لم تفقد الرئيس يوماً دوره في التواصل مع الخارج. منذ مطلع عهده، رغم انفتاحه على السعودية وفرنسا ومصر بزياراته إليها وتحدّثه من على منبر الأمم المتحدة، جبه عون صعوبة التحاور مع الخارج في بلد لم يعد خافياً فيه طغيان تأثير حزب الله، واعتداد الرئيس بتحالفه معه وتبرير دوره في وقت تتقاسم الدول تلك، غربية وعربية، مخاوف مشتركة من تنامي حزب الله، بعضها عدّه «إرهابياً»، وبعض آخر حاذر التواصل معه ما خلا قليلاً، وبعض ثالث وجد نفسه مرغماً على مخاطبته وإن بتحفظ. تدفع أسباب كهذه ميقاتي إلى أن يكون هو المحاور والمفاوض الفعلي للبنان. ذلك ما أوحى به الأفرقاء الذين جهروا بتسميتهم وزراءهم الاختصاصيين.

ثانيها، أن الحكومة الجديدة المفترض أن ولايتها تنتهي بانتخاب برلمان جديد في الموعد المقرّر في أيار 2022، لا يسعها بمفردها - رغم التعهّد الذي قطعه رئيسها - أن تقرّر حصول الانتخابات وفرضها، أو الانتقال إلى خيار بديل كتمديد ولاية مجلس النواب، أو ربما الذهاب إلى ما هو أسوأ، وهو تعذّر الخيارين الأولين والسقوط في شغور دستوري حقيقي وخطير. ما يصحّ على هذا الاستحقاق، يصيب كذلك الموضوع الأكثر إثارة للسجال والخلاف بين الأفرقاء، وهو التحقيق الجنائي ومباشرة تطبيقه. لا رئيس الجمهورية قادر على فرضه على البارحة بقوله إنه سيدق كل الأبواب. بالتأكيد يتوخى أولاها السعودية وفرنسا.

ثالثها، أن الحكومة الجديدة المفترض أن ولايتها تنتهي بانتخاب برلمان جديد في الموعد المقرّر في أيار 2022، لا يسعها بمفردها - رغم التعهّد الذي قطعه رئيسها - أن تقرّر حصول الانتخابات وفرضها، أو الانتقال إلى خيار بديل كتمديد ولاية مجلس النواب، أو ربما الذهاب إلى ما هو أسوأ، وهو تعذّر الخيارين الأولين والسقوط في شغور دستوري حقيقي وخطير. ما يصحّ على هذا الاستحقاق، يصيب كذلك الموضوع الأكثر إثارة للسجال والخلاف بين الأفرقاء، وهو التحقيق الجنائي ومباشرة تطبيقه. لا رئيس الجمهورية قادر على فرضه على رئيس الحكومة، ولا رئيس الحكومة في وسعه التزام تطبيقه خارج مجلس الوزراء. مع أن الجالسين إلى طاولته اختصاصيون، إلا أن القرار الفعلي ليس عند هؤلاء، بل لدى المرجعيات التي وزّرتهم.

رابعها، مع أن تأليف الحكومة يوحي، في الظاهر أو قد يفترض، تبريد النزاع الناشب بين رئيس الجمهورية والسنّة بقيادة نادي رؤساء الحكومات السابقين، وهو الأسوأ حتى الآن بين الفريقين، بيد أن البعض المطلع العارف يتحدّث عن ميقاتي ما بعد التأليف يختلف عن ميقاتي التكليف. في جزء من هذا الاعتقاد يعود إلى بداية الحديث عن تكليف نائب طرابلس ترؤس الحكومة، عندما ناقش الرؤساء السابقون المرحلة الجديدة من دون رئيس الحكومة، ولا رئيس الحكومة في وسعه التزام تطبيقه خارج مجلس الوزراء. مع أن الجالسين إلى طاولته اختصاصيون، إلا أن القرار الفعلي ليس عند هؤلاء، بل لدى المرجعيات التي وزّرتهم.

رابعها، مع أن تأليف الحكومة يوحي، في الظاهر أو قد يفترض، تبريد النزاع الناشب بين رئيس الجمهورية والسنّة بقيادة نادي رؤساء الحكومات السابقين، وهو الأسوأ حتى الآن بين الفريقين، بيد أن البعض المطلع العارف يتحدّث عن ميقاتي ما بعد التأليف يختلف عن ميقاتي التكليف. في جزء من هذا الاعتقاد يعود إلى بداية الحديث عن تكليف نائب طرابلس ترؤس الحكومة، عندما ناقش الرؤساء السابقون المرحلة الجديدة من دون

الرئيس سعد الحريري في السرايا بعد اعتذاره، وتداعياتها على السنّة الذين - بحسب ظنون هؤلاء - أن رئيس الجمهورية يدفن موقعهم ومكانتهم في الحكم والدستور، اتفقوا في ما بينهم - في حضور ميقاتي - على أن تكون القرارات المصيرية التي يتخذها بالشراكة مع ناديهم. يشمل ذلك الملفات الحساسة والسياسات الأساسية التي يقتضي التشاور المسبق حيالها.

مغزى هذا الموقف أن وجود ميقاتي في السرايا هو بتكليف من أسلافه، مقدار انبثاقه من الغالبية النيابية، ما يجعل وزن هؤلاء لا يقلّ شرعية عن تلك. ما راموه كذلك، أن حكومة ميقاتي هي مَن يقتضي أن يقود البلاد في السنة الأخيرة من ولاية رئيس الجمهورية.

قضية

في 12 تشرين الأول المقبل تنتهي ولاية رئيس الجامعة اللبنانية فؤاد أيوب. رغم دنوّ الموعد، ما من حديث عن رئيس جديد، فيما الرئيس الحالي يتحرّك بحرية وارتياح شديدين، مدعوماً بضوء أخضر سياسي، من دون أن يقطع ذلك الطريق على الجدل القانوني بشأن شرعية البقاء من عدمها. مع تشكيل الحكومة أمس، يتوقع أن يحتدم الصراع بين القوى السياسية حول المنصب، خصوصاً أن ولاية الرئيس قد تنتهي قبل أن تباشر الحكومة مهامها. المعارضون يرفضون التمديد وتكليف العميد الأكبر سناً على السواء ويطرحون بديلاً مستقلاً

# رئاسة الجامعة اللبنانية نحو التمديد؟

فاتن الحاج

تنتهي ولاية رئيس الجامعة اللبنانية فؤاد أيوب في 12 تشرين الأول المقبل، وسط جدل قانوني بشأن شرعية بقائه في المنصب إلى حين تعيين البديل. لا جلبة في أروقة الجامعة حول الاستحقاق، وإن كان ذلك لا يمنع من تكرار السؤال - الأحجية مرة جديدة: من يكون الرئيس الآتي؟ مع تغييب مجلس الجامعة، يبقى الملف مفتوحاً أكثر فأكثر على المزاجية والتسييس، ولا يعود مهمّاً ما إذا كان القانون 66 بتاريخ 2009/3/4 الخاص بتنظيم المجالس الأكاديمية يعطي الحق للرئيس الحالي بالاستمرار في مهمّاته أم لا، علماً بأن السجال القانوني نفسه احتدم في شباط 2011، يوم انتهت ولاية الرئيس السابق زهير شكر، وفي تشرين الأول 2016، عندما انتهت ولاية الرئيس السابق عدنان السيد حسين.

> **الأساتذة المعارضون يطالبون بتكليف مستقل لم ينغمس في فساد السلطة**

وبما أن المنصب محسوب للطائفة الشيعية، لا موقف سياسياً نهائياً معلناً لحركة أمل وحزب الله لجهة الموافقة على استمرار أيوب في تسيير المرفق العام. لكنّ القراءة الواقعية للمشهد تقول إنّ القانون وحده لا يُبقي الرجل في كرسيه، ولا بد أن يأخذ ضوءاً أخضر سياسياً، في حين لا تخفي أجواء الثنائي الشيعي الميل إلى تأييد هذا الخيار، «استناداً إلى المادة 14 من القانون 66 التي تنصّ بصراحة لا تقبل التفسير والتأويل، وبهدف تأمين استقرار سير المرافق الأكاديمية المختلفة من مسؤولين ومجالس أكاديمية، على ما يأتي: عند انتهاء ولاية أيّ من أعضاء المجالس الأكاديمية المنصوص عليها في هذا القانون يستمرون في ممارسة أعمالهم إلى حين تعيين أو انتخاب بدلاء عنهم». وأشارت مصادر الثنائي لـ «الأخبار» إلى أنّ ما نصّت عليه الفقرة 5 من المادة 2 في «حال غياب الرئيس ينوب عنه أكبر العمداء سناً» لا تطبّق في حالة الشغور التي لها وضع قانوني آخر غير الغياب بداعي السفر أو المرض. كذلك أوضحت أن أغلب عمداء الكليات الحاليين سيحالون إلى التقاعد في وقت قريب ولا يمضون ولاية كاملة، وبالتالي فإن تكليفهم بأعمال الرئاسة سيضر بمصالح الجامعة.

(مروان بو حيدر)

في المقابل، يرفض الأساتذة المعارضون تسويغ استمرار أيوب في منصبه، فالفقرة 3 من المادة 2 من القانون 66 تنص على أن «تحدد ولاية الرئيس بـ5 سنوات، غير قابلة للتجديد إلّا بعد انقضاء ولاية كاملة»، وجاء في الفقرة 5 من المادة نفسها: «في حال غياب الرئيس ينوب عنه أكبر العمداء سناً». وإنّ قراءة قانونية متعمّقة للقانون تؤكد، بحسب هؤلاء، أنّه تناول 3 مجالس: «مجلس القسم ومجلس الفرع ومجلس الوحدة»، ولم يتناول بأي حال مجلس الجامعة. والنص الذي يتحدث عنه أنصار الرئيس في المادة 14 لم يتطرق، كما يقول الأساتذة، إلى مجلس الجامعة بل اقتصر فقط على مجالس الأقسام والفروع والوحدات، علماً بأنّ المادة 9 من قانون الجامعة الرقم 75 /1967 تنص على أن «يتولّى إدارة الجامعة رئيس ومجلس». وكذلك المادة 11 من القانون عينه: «رئيس الجامعة من موظفي الفئة الأولى». ومن المعروف، «أن أيّ موظف من الفئة الأولى لا يحق له أن يبقى يوماً واحداً بعد انتهاء مدة مسؤوليته، إلا إذا اتخذ مجلس الوزراء قراراً بهذا التمديد»، وهذه ليست حالة أيوب.

مع ذلك، ترى مصادر الأساتذة المعارضين لبقاء أيوب أنّه «لا اعتبار قانونياً حالياً لتكليف أحد العمداء المُلوّثة أيديهم بالفساد في الجامعة، خصوصاً أن معظمهم انتهوا ولايتهم قبل أيوب وبقاءهم في العمادات غير قانوني، ولأنه بحسب القانون 66 لا قانونية لأي تمديد أو تجديد لولاية ثانية بتاتاً، ومن لا يحق له أن يتابع كعميد كيف يحق له أن يُكلف بالرئاسة؟». وتضيف: «العرف والتقليد والمطالعات السابقة لوزراء العدل في الحالات المماثلة تقضي بالبحث عن مستقلّ لم تتلوّث يداه بفساد السلطة، ولديه أعلى رتبة وأعلى درجة والأكثر أقدمية وعمره يسمح له بممارسة المهمة بالتكليف أو الإنابة أو الوكالة أو التفويض من سلطة الوصاية، أي وزير التربية، وذلك لتعذّر تعيين رئيس أصيل بسبب عدم التئام مجلس الوزراء». وفي هذا الإطار، تطرح المصادر تكليف خالد الحسين، أستاذ الفيزياء الذرية والنووية في كلية العلوم، الفرع الثالث في الشمال، فهو في ملاك الجامعة منذ عام 1988، ولديه 36 سنة خدمة، وحائز رتبة أستاذ منذ عام 1995، وهو في الدرجة 27 أي أعلى بخمس درجات من القمة (الدرجة 22)، وعمره 60 عاماً.

يتطرق المعارضون إلى عجز ولاية أيوب عن إنصاف المتعاقدين بالتفرغ والمتفرغين بدخول الملاك، بالتذرع بالروتين الإداري، إذ تنام الملفات مدة طويلة في الإدارة المركزية، ولا تُرسل إلى وزارة التربية إلا حين تسقط الحكومة، علماً بأنه جرى استثناء الأساتذة الوزراء في الحكومة من هذا الاعتبار وجرى إدخالهم في الملاك بخلاف زملائهم الآخرين.

وبحسب المصادر، فإن مجلس العمداء هو مجلس لا وجود إدارياً أو قانونياً له في القانون 66، ولا يحق له اتخاذ أي قرار (خصوصاً الذي يحتاج إلى تشريع في مجلس النواب)، بل في ظل انتهاء فترة مجلس الجامعة الأصيل، تكون إدارة الجامعة بالتوافق بين الرئيس ووزير التربية.

وبالتالي، فإن كل ما يصدر عن مجلس العمداء غير مُلزم، لا بل إن الإمعان في إبراز أي دور لمثل هذا المجلس، الذي لا تنصّ عليه أي مادة في القانون، يصبّ في مصلحة تمادي السلطة وتجاهلها للجامعة، وعدم شعورها بالحاجة إلى معالجة مشاكلها.



تقرير

# القرطاسية بـ«الحبة» و«الشنطة» بمليون ليرة!

يارا سعد

أمام فوضى الأسعار، تبدو حركة الإقبال على شراء القرطاسية والتحضير للعودة إلى المدرسة خجولة. إذ يفضّل الأهالي التريّث ريثما تتّضح صورة العام الدراسي الجديد، كما يقول عدد من أصحاب المكتبات ومحال القرطاسيّة الذين يتوقعون أن يكتفي ذوو الطلاب بشراء القرطاسية بـ «الحبّة»، كلما احتاج التلميذ إليها، بدلاً من شرائها بالجملة على ما جرت العادة.

جولة على المكتبات التي لا تزال تسعر على أساس سعر صرف يوازي 10 آلاف ليرة للدولار، كفيلة بإظهار «القفزة» بالأسعار. إذ ارتفع سعر قلم الرصاص من 500 ليرة إلى ما بين 3 و5 آلاف، والممحاة من 500 ليرة إلى 6 آلاف، وقلم الحبر من 500 ليرة إلى 5 آلاف، و«علبة الهندسة» من 1500 ليرة إلى 18 ألفاً، وعلبة التلوين من 4 آلاف إلى 15 ألفاً. أما الدفاتر والأوراق والمفكرات فـ«حدث ولا حرج»، فما من دفتر باقل من 20 ألف ليرة، وأسعار بعضها تتجاوز الـ 100 ألف، فيما سعر رزمة الأوراق البيضاء 70 ألف ليرة. «هذا كله ولم نشتر بعد بضاعة جديدة، الله يستر من الأسعار بعد أسابيع»، يقول صاحب مكتبة، فيما تقول عاملة في مكتبة أخرى إن «الأسعار ليست حرزورة. كل ما يجب فعله هو ضرب السعر (بالدولار) بعشرين ألفاً».

«الأسعار الجديدة» بدأت تظهر في المتاجر الكبيرة، حيث يصل سعر المحاة أو المبراة إلى 60 ألفاً، و«التيب إكس» إلى 125 ألفاً، و«علبة الهندسة» أكثر من 100 ألف، فيما يراوح سعر «المقلمة» و«علبة التلوين» بين 50 ألف ليرة و200 ألف. هذه «التسعيرة اللبنانية» التي يفرضها تعميم وزارة الاقتصاد «منعاً لاستغلال المستهلك اللبناني»، ليست ثابتة، وهي عرضة للارتفاع كلما ارتفع سعر صرف الدولار.

(مروان بو حيدر)

بعض المدارس التي كانت «تتكفل» أو «تفرض» تأمين القرطاسية بنفسها قرّرت التخلي عن هذه «المهمة»، لأن أيّ زيادة على سعر القرطاسية ستكون «خيالية على الأهل»، بحسب أمّ لطالبين في المرحلة الثانوية، «لذلك اتجهت المدرسة إلى تركنا نشتري ما يناسبنا». وإذا كانت مصاريف قرطاسية التلامذة الأكبر سناً «أشفى حالاً»، إلا أن قرطاسية تلامذة الروضات والمرحلة الابتدائية تشكل عبئاً إضافيّاً على تكاليف العام الدراسي، لما تتضمنه من كرتون وأقلام للتلوين وأدوات أخرى للأنشطة والأشغال اليدوية. ما دفع بعض الأهالي إلى «تأمل الخير» في كلام وزير التربية السابق طارق المجذوب، بتأمين القرطاسية للمرحلتين الأولى والثانية مجّاناً للتعليم الرسمي، «على أمل أن تكون الأقوال أفعالاً».

يحمل صاحب أحد المحال الآلة الحاسبة ويقول: «إذا حسبنا الدولار الواحد بـ 14 ألف ليرة، وسعر الحقيبة 50 دولاراً، يعني 570 ألف ليرة». هذه عيّنة من أسعار الحقائب التي تجاوزت سقف المليون ليرة في بعض المحال، فيما كان الكثير من الأهالي يحصلون على حقيبة «بتقعد» سنتين، بمبلغ يتراوح بين 50 ألف ليرة و100 ألف. تقول إحدى الأمهات «صحيح أننا كنا نشتري الشنطة بستين ألفاً، لكن هذا لا يعني أنها كانت رخيصة، إذا قارنا سعرها بالدولار بالأسعار الحاليّة. قبل سنتين كنا نتدين لنشتري الحقائب، هذه السنة لا نعرف ماذا سنفعل».

# مساكن الطلاب تقفل أبوابها: «اللبنانيّة» لم تعد للفقراء

زينب حمود

نزل خبر التوجّه نحو العودة إلى التعليم المدمج كالصاعقة على طلاب الجامعة اللبنانية الذين يجدون أنفسهم أمام خيارين، أحدهما أمرّ من الآخر: إما تكبّد كلفة المواصلات الباهظة التي لا تقلّ عن 100 ألف ليرة يومياً للانتقال من قراهم إلى كلياتهم، أو السكن في «فوايبه»، إن وجد، في محيط الجامعة، يوفّر عليهم بدل النقل، لكنه يكلفهم 600 ألف ليرة شهرياً على الأقل، لا تشمل كل الخدمات (مياه ساخنة وكهرباء وإنترنت بشكل دائم). وقد تصل الكلفة إلى مليون ليرة.

تنتظر الطالبة في كلية الآداب، فاطمة عيتاوي، حسم قرار التعليم المدمج قبلَ أن تسجل في السكن الطالبي في محيط مجمع الجامعة في الحدث. تنصحها مديرة السكن بالتروّي بما أن غالبية الفتيات غادرن السكن وتركن كثيراً من الأسرّة الشاغرة، جراء ارتفاع أجرة الغرف إلى 600 ألف ليرة، «قابلة للزيادة إذا ما ارتفع سعر صفيحة المازوت». ومع أن فاطمة تجد «الكلفة كبيرة جداً»، لكنها تبقى «أوفر بكثير من دفع 120 ألف ليرة يومياً أجرة الفان من بيتها في بعلبك». ورغم أن الكلية تقع في اليونيسكو، اختارت فاطمة «فوايبه» في الحدث لقربه من كلية الهندسة حيث تدرس شقيقتها، ما يعني أنها ستتحمّل، إلى جانب عبء الـ«فوايبه»، عبء المواصلات للوصول إليه. لذا «أبحث عن عمل لأكمل دراستي في جامعة لم تعد للفقراء».

(أرشيف ــ بلال جاويش)

ثلاث مؤسسات للسكن الطالبي في محيط مجمع الحدث أقفلت أبوابها، و«ما تبقّى منها على الطريق»، وفق المسؤول عن إحداها. يجد الرجل نفسه في حالة ضياع: «ما بعرف شو لازم أعمل». يستصعب «نعي» 25 عاماً من إيواء الـ«فوايبه» للطلاب، ويتردد في البقاء و«الاستمرار في الخسارة»، إذ أن أجرة الغرفة 350 ألف ليرة، «قابلة للزيادة إذا ما ارتفع سعر صفيحة المازوت». ومع أن فاطمة تجد «الكلفة كبيرة جداً»، لكنها تبقى «أوفر بكثير من دفع 120 ألف ليرة يومياً أجرة الفان من بيتها في بعلبك». ورغم أن الكلية تقع في اليونيسكو، اختارت فاطمة «فوايبه» في الحدث لقربه من كلية الهندسة حيث تدرس شقيقتها، ما يعني أنها ستتحمّل، إلى جانب عبء الـ«فوايبه»، عبء المواصلات للوصول إليه. لذا «أبحث عن عمل لأكمل دراستي في جامعة لم تعد للفقراء».

> **البدل «المناسب» لـ«فوايبه» لا يقلّ عن مليون ليرة شهرياً!**

والجنوب وعكار وطرابلس بقصد التعلم في الجامعة اللبنانية لن يتحمّل هذه الزيادة». ويشير إلى أنه عندما رفع، أخيراً، الأجرة من 300 ألف ليرة إلى 350 ألفاً «قامت قيامة الموظفين الذين يسكنون بشكل دائم فيه نظراً إلى بعد المسافة بين مسكنهم الأساسي ومكان عملهم».

تخبّط أصحاب الـ«فوايبهات»، وعدم قدرتهم على تحديد أجرة تناسب الطرفين، وإقفال بعضها، كلّ ذلك قلّص الخيارات المتاحة أمام الطلاب. الطالبة تابيتا الملحم التي تسكن في القاع، لم تجد «فوايبه» قريباً من كليتها في زحلة، «الفوايبهات ذات الأسعار المقبولة بعيدة عن الجامعة ما سيضطرني إلى تحمّل عبء المواصلات، أما تلك القريبة، فيستغلّ أصحابها حاجة الطلاب إلى السكن المحاذي للجامعة ويحددون أجرة عالية لا تقلّ عن مليون و200 ألف ليرة».

## استراحة

### كلمات متقاطعة 3832

| 10 | 9 | 8 | 7 | 6 | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | | | | | | |
| | | | | ■ | | | | | |
| | | | ■ | | | | ■ | | |
| | ■ | | | | | | | | |
| | | | ■ | | | ■ | | | |
| | | | | | ■ | | ■ | | |
| | | ■ | | | | | ■ | | |
| | | | | ■ | | | | | |
| ■ | | | ■ | | | | | | |
| | | | | | ■ | | | | |

**أفقيا**

1- مارشال فرنسي خلال الحرب العالمية الأولى – 2- عاصمة أوروبية – مهبط الطائرات – 3- جواب – بيت – غزال أبيض – 4- عاصمة زيمبابواي سابقاً – 5- في الوجه – حزن وكرب – رجاء – 6- عشرة بالأجنبية – ينشط الإقتصاد – 7- جانب الوجه – يذهب الماء في الأرض – حرف نصب – 8- نوع من الحمام البريّ – تنشق العطر – 9- إسم حمله عدد كبير من فراعنة مصر – قلب الثمرة – 10- فنانة لبنانية من أغانيها « شو بدو « – حيوان بحري

**عمودياً**

1- رئيس وزراء سوري راحل – 2- نحّات فرنسي – مدينة سورية – 3- وضع خلسة – من الخضر – رفع الثوب عن ساقيه – 4- قصر تركي هو اليوم متحف – إسم كانت تُعرف به بحيرة ملاوي قديمًا – 5- رجال عظماء الشأن – خلاف فقير – 6- عاشق تاريخي – بحيرة – 7- وشى – ننثر الماء – 8- مخلوقات حيّة طفيلية تنتشر في الهواء والتربة والمياه – مجموعة أوراق في غلاف – 9- طريق بالأجنبية – دعك الغسيل – بواسطتي – 10- مدينة مصرية

**حلول الشبكة السابقة**

**أفقيا**

1- بثينة شعبان – 2- يلدز – فولغا – 3- غول – شيّد – بجّ – 4- مجّ – أكل – فزي – 5- السدير – 6- لب – أب – دجّال – 7- مشير – 8- وي – ار – طلاس – 9- نهرو – نفّ – حط – 10- كوستاريكا

**عمودياً**

1- بيغماليون – 2- تلوج – يهلّ – 3- يدلّ – رو – 4- نز – الأشاوس – 5- شكسبير – 6- شفيلد – نا – 7- عود – يد – طفر – 8- بل – فرجيل – 9- أغبر – أحك – 10- ناجي الإسطا

### sudoku 3832

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| 5 | | | 8 | | | | | |
| 8 | | | 2 | 6 | 4 | | | 5 |
| 7 | 4 | 2 | | | | | | |
| | 1 | 8 | 5 | 9 | | | | |
| 6 | 3 | | | | | | 2 | 1 |
| | | | | 1 | 6 | 4 | 9 | |
| | | | | | | 1 | 3 | 2 |
| 1 | | | 7 | 3 | 8 | | | 4 |
| | | | | | 9 | | | 6 |

**شروط اللعبة**

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

**حل الشبكة 3830**

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| 3 | 2 | 4 | 8 | 6 | 5 | 9 | 1 | 7 |
| 5 | 7 | 8 | 4 | 9 | 1 | 2 | 3 | 6 |
| 9 | 6 | 1 | 2 | 3 | 7 | 5 | 4 | 8 |
| 6 | 1 | 2 | 5 | 8 | 3 | 7 | 9 | 4 |
| 4 | 5 | 7 | 9 | 1 | 2 | 6 | 8 | 3 |
| 8 | 3 | 9 | 7 | 4 | 6 | 1 | 2 | 5 |
| 2 | 4 | 6 | 1 | 5 | 8 | 3 | 7 | 9 |
| 1 | 8 | 5 | 3 | 7 | 9 | 4 | 6 | 2 |
| 7 | 9 | 3 | 6 | 2 | 4 | 8 | 5 | 1 |

**مشاهير 3832**

| 11 | 10 | 9 | 8 | 7 | 6 | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | | | | | | | |

كاتب وروائي عراقي معاصر ومحرر وناشر لمجلة بانيبال الإنكليزية. يملك موقع كيكا الحافل بالآداب العربية والترجمات

6+4+5+2 = دنيء الأصل ■ 9+11+10+7 = توابيت ■ 3+1+8 = إمساك عن الطعام

حل الشبكة الماضية: **ادموند سبنسر**

إعداد
نعوم مسعود

# دليل اليساري الراغب في الانتقال إلى خندق التحالف السعودي ـ الإماراتي

**أسعد أبو خليل ***

لا تتردّد. في البداية ستشعر بارتباك. العالم اليميني الرجعي قد يبدو غريباً بعض الشيء عنك وعليك. ستشعر برهبة للمرّة الأولى لأنك تذكر أنك كنتَ تهجو بعض أسماء العالم الجديد، وأنكَ على مواقع التواصل كنتَ تعيِّر مَن يتحدّث بلغتهم وخطابهم. ستتذكّر أن الكثير من رفاقك وأترابك سبقوك في النقلة، وتثبتوا في مضارب الطاعة النفطيّة والغازيّة. يندر أن تجد في عالم المثقّفين وأساتذة الجامعات والإعلاميّين والإعلاميّات من بقي في معسكر اليسار ـ اليسار الحقيقي الحالي والمستقبلي، وليس يسار الذكريات البائدة التي يستعين بها اليمين في معاركه. الكلّ ينتقل ويتحوّل، فلماذا تبقى أنتَ وحدك؟ ـ أو هكذا تقول لنفسك لإقناعها. والانتقال قد يكون طريفاً ومضحكاً: مثل أن يعترض أحدهم على جريدة «الأخبار» لأنها ليست ثوريّة أو تقدميّة بما فيه الكفاية ثم تجدهم يثنون على إعلام يقع على يمين يمين جريدة «الأخبار». أو أن تجد مَن كان يوبّخك على فايسبوك لأنك انتقدتَ حزب الله أو النظام السوري (وهذه حدثت معي أكثر من مرّة، قبل أن أطرد شرّ طردة من فايسبوك)، ثم بعد أشهر فقط تجدها تنتقد كلّ من لا ينتقد حزب الله والنظام السوري. تسألها عن ذلك فتقول لك: الناس يتغيّرون. يتغيّرون بناء على قناعات. صحيح، لكن التغييرات الفجائيّة كيف تحدث؟ مَن يشرح العمليّة لي؟ كيف يمكن لشخص مثلاً أن يعيِّر لأنك تنتقد حزب الله ثم بعد أقل من سنة يعيّر لأنك لا تنتقد الحزب بحدّة أو شدّة أكثر؟ والذي كان يستاء من نقدك للنظام السوري بات يعيّر أن نقدك له لا يكفي.

لكنّ التغيير يطرح تساؤلات عن أسباب القناعات المتغيّرة في اتجاه واحد فقط. لماذا يتغيّر الجميع، وفجأة، من موقع مؤيّد للمقاومة إلى موقع معادٍ لها؟ لماذا لا نسمع عن انتقال أناس من محور السعودية ـ إمارات ـ أميركا إلى محور إيران؟ ما السرّ بالرغم من كلّ ما يُقال عن المال الإيراني الذي هو نقطة في بحر التمويل الغربي ـ السعودي ـ الإماراتي لوسائل الإعلام والمواقع والبشر. اذكر أنني قبل أكثر من عشر سنوات سمعتُ عن راتب بتول أيّوب المتواضع (جداً) وكيف كانت تتلقّى العروض من وسائل إعلام عربيّة قبل أن ينزل الغضب الخليجي الساطع على «المنار» بعد هزيمة إسرائيل في حرب تموز، (ليست مفارقة أن أنظمة الخليج كانت صريحة في إنزال غضبها ضد حزب الله واكتشاف إرهابه الفظيع بعد نجاحه بإلحاق الهزيمة بالعدوّ في حرب تمّوز؟). كانت هذه أوّل مرة يعمد فيها النظام السعودي والإماراتي إلى المجاهرة بمناصرة إسرائيل في حرب. لكن هؤلاء كانوا يتمنون الهزيمة للمقاومة الفلسطينيّة في صيف 1982، عندما كان سعود الفيصل يستقبل بشير الجميّل في الرياض ويعدّه (بامر أميركي ـ إسرائيلي) لتولّي منصب رئاسة الجمهوريّة بقوة الاجتياح الإسرائيلي للبنان.

سيُقال لك الكثير عن هجرتك من موقع إلى موقع. ستشعر بالحرج عندما تشرح لهم ما حلّ بك. لا بأس في ذلك. هذه تحدث دائماً في البداية لكن العوارض سرعان ما تزول. تتعوّد وتتقالم وسرعان ما تتحوّل إلى بوق للتحالف السعودي ـ الإماراتي. هناك طلب على المتحوّلين لأنهم على الشاشات يبدون أنهم العالمون بخواطر الأمور، ويستطيعون أن يزوّدوا الأعداء (السابقين لهم) بمعلومات وإرشادات حول عقليّة هؤلاء. والهجرة في بداياتها تثير تساؤلات وتكهّنات لكن لكثرة ما حدثت تحوّلات منذ عام 2005 إلى اليوم، فإن التساؤل بات أقلّ بكثير من قبل. تعوّدنا كثيراً وصارت التحوّلات رتيبة ومتوقّعة. تحوّل أشخاص من خندق إميل لحوّد (شارل رزق وديميانوس قطّار وإلياس المرّ وغيرهم كثيرون) إلى خندق الحريريّة، لا بل وفاء هؤلاء متنكّرين بالكامل لماضيهم. ينفون أنهم كانوا في موقع مختلف، لأنه يريدون طمس التحوّل. لكن ليس هناك من تحوّل جذري أكثر من تحوّل محطة تحسين خيّاط التي انتقلت من بوق ممانعة إن إلياس عطاالله، الذي كان أول قائد عسكري زايد بمجرّد إطلاق «عاصفة الحزم»، هكذا بشحطة قلم تحوّلت مقدّمات «الجديد» من إطناب بالمقاومة ومحورها إلى محطة تبشير بأميركا والمحمّديْن في الخليج (رافقت «عاصفة الحزم» وحفلة التطبيع الإسرائيلي ـ الإماراتي أكبر عمليّة شراء الصحف والمحطات والمواقع منذ رحلة خالد بن سلطان الشهيرة في صيف 1990، عندما جال على عواصم العالم لابتياع الإعلام العربي، وتحوّلت في حينه مجلة «الوطن العربي» من بوق لصدّام إلى بوق لنظام السعودي واستأجر جريدة «الحياة» قبل أن يشتريها فيما بعد).

لكن ستواجهك معضلة، فاحذر. هل ستتبع لمحمد بن سلمان أم لمحمد بن زايد؟ هنا، ستستغرق في التفكير قبل أن تحزم أمرك. لكن المثال للإعلاميّين اللبنانيّين والفنانين في دبي ـ بيروت مائل للعيان وهو مفيد لك. تستطيع أن تسجد للاثنيْن معاً، أو لثلاثة من الأمراء والشيوخ، لو شئتَ. هناك أمثلة عديدة أمامك. تستطيع مثلاً أن تجول في أمسيات الرياض على المنازل والقصور وأن تحاضر حول «رؤية محمد بن سلمان الاعلاميّة» وأن تظهر على شاشة التلفزيون حاملاً هاتفاً بصورة محمد بن راشد ومحمد بن زايد، كما حالة اللبناني علي جابر. وتستطيع مثل كل الفنانين والإعلاميّين العرب في دبي ـ بيروت أن تقتفي آثار المستشار تركي آل الشيخ الذي يهدي «النخبة» الإعلامية والثقافيّة والإعلاميّة العربيّة. هو يستطيع أن يشير بيده أو عصاه كي ترتسم معالم الطريق أمامك. والطاعة لنظامَيْن أصعب من الطاعة لنظام واحد خصوصاً ولو حدث خلاف بين المستبدّيْن، وما عليك في حينه إلّا أن تتضرّع كي يدوم الوفاق بينهما وإلّا الطامة الكبرى ستقع. وفي موضوع فلسطين هناك إشكال أيضاً. أنتَ كنتَ تكتب في حب فلسطين وفي نصرة شعب فلسطين. هذا لم يكن إشكالاً من قبل عندما كان النظام السعودي والإماراتي يدعم ـ لفظاً فقط وخطباً معظمها خطاب كراهية ضد اليهود كيهود ـ نضال الشعب الفلسطيني. الآن الوضع تغيّر واصبح النظامان حليفيْن وثيقيْن للعدوّ. كيف تتقالم مع ذلك وكيف تنسجم؟ تستطيع أن تفعل كما فعل مثقفون وإعلاميّون قبلك بأن تقول: إنك تثق بحكمة وقيادة محمد بن سلمان ومحمد بن زايد وأن كلّ ما يفعلانه ينسجم مع قناعاتك المتغيرة بنفس وتيرة تغيّر سياسات المستبدّين، إن تغيّرت. هذه سهلة: رفيق الحريري قال إنه كان مع عبد الناصر لكنه بمجرّد أن وصل إلى السعودية في عام 1964 اصبح من مؤيّدي المحور السعودي المناهض لعبد الناصر. هذا كان قومياً عربياً سابقاً. تعلّم: وإن هم هتفوا ضد فلسطين، تهتف أكثر وتزعم أنك فقط من باب معاداة الإخوان المسلمين ترفض نضال حركة «حماس». وإن هم هتفوا في نصرة نتنياهو ضد خصومه تفعل الأمر نفسه وتزايد في حبّ نتنياهو. بمعنى آخر، عليك أن تقطع بالكامل مع مرحلتك السابقة. عليك عندما تنظر في المرآة ألا تتعرّف على وجهك وتقاسيمه وأن ترى وجهاً جديداً لا يتبيّنه من عرفك طيلة حياتك. وإن تبيّنتَ ذات يوم تقاسيم وجهك السابق في المرآة، اصفعه حتى يتغيّر الوجه. ثم هناك المكياج في «الغرف الخضراء» في محطات التلفزة. أما في موضوع المقاومة فهذه سهلة أيضاً. أنتَ لا تقول أو تعترف إنك ضد المقاومة. لا، هذا موقف نافر ويقطع مع كلامك في الماضي غير البعيد. أنتَ تقول إنك مع المقاومة في المبدأ لكن لا يمكن لك أن توافق على المقاومة الحالية في غزة أو في جنوب لبنان. تقول إنك فقط من باب المدنيّة والعلمانيّة ترفض أن يقود حزب ديني مقاومة إسرائيل. تقول: إن الدولة المدنيّة كفيلة بصدّ إسرائيل وردعها. تقول: لو قامت الدولة المدنيّة فإنه بحكم وجودها تهدّد إسرائيل وتمنع جيشها من التقدّم في أرضها. كيف ذلك؟ هذه عويصة لكن لنقُل إنك تقول إن الدولة المدنيّة هي حالة مقاومة بحدّ ذاتها وأنك لا تستطيع أن تشرح أكثر من ذلك لأنك لست راسخاً في العلوم العسكريّة. هذه تكفي. ثم هناك حالة «جمّول»، فتستنجد بها. أنت تقول إنك مع مقاومة «جمّول» لكن لستَ مع المقاومة الحالية. أنت إذن مع مقاومة غير موجودة مقابل مقاومة موجودة وفاعلة. وأنت تقول إن إلياس عطاالله، الذي كان أول قائد عسكري لـ«جمّول»، شكّل حالة أزعجت أميركا وإسرائيل أكثر بكثير من حالة عماد مغنيّة الذي قاد على امتداد سنوات طويلة المقاومة الحالية. أي أنت مع مقاومة الياس عطاالله وليس مع مقاومة عماد مغنيّة لأنك يساري، أو لأنك كنتَ ذات يوم يسارياً. (قد يسألونك عن حالة منظمة التحرير الفلسطينية التي شكلت في برنامجها في ميثاق 1968 حالة حركة مدنيّة لا تطرح أي كلام طائفي، وسيسألونك عن فعاليتها مقابل المقاومة الحالية. عندها تقول إنك في هذه لا تفسير لديك إلّا أن الدولة المدنيّة و«جمّول» (غير الموجودة) هي أفضل مما يجري اليوم وإن إذلال العدوّ في حرب تمّوز كان يمكن أن يكون أكثر وقعاً لو أن القيادة كانت بيد جوزيف عون، المدني مثلاً. هكذا تجيب على تساؤلاتهم وتردّ على استفساراتهم.

أنت اليوم تدخل في مسار جديد تقطع فيه ما سبقَ لك من حياة وقناعات. عليك أن تكون مرناً لأن الأنظمة التي اصبحتَ تابعاً لها هي أيضاً مرنة. النظام السعودي تخاصمَ مع النظام السوري ثم تصالح ثم تخاصم، والمحمدان المستبدان شنّا حرباً وحصاراً على قطر، لكن الصلحة تمّت أخيراً وكل الذي هجا النظام القطري سكت للتاقلم، كما فعل غسان شربل وغيره كثيرون. أنت تستطيع أن تفعل نفس الشيء. والنظام القطري يشكل ايضاً حاضنة لليساريين السابقين لكنه يرتاح أكثر لمعارضة الإخوان المسلمين التي لم يعد لها ملاذ غير قطر، خصوصاً أن تركيا تتصالح مع النظام المصري والسعودي وإسرائيل وأميركا. أنت، أين تقف أنتَ؟ انت تقتفي آثار وخطوات الأمير أو الشيخ الذي تتبعه، وهناك أفراد في الحاشية يشيرون إلى الطريق. كما يقول، تقول. لو وقف، تقف، ولو جلس جلس، ولو هتف تهتف، ولو صمت تصمت.

والعمل الإعلامي في فريقك وافر الفرص خلافاً للصحافة اليسارية الحقّة. هناك مواقع ومحطات تلفزيونية تستطيع أن تعمل فيها لو شئت والنظام الإماراتي يبدو أنه يدخل الحقل الإعلامي بقوّة في منافسة مع النظام السعودي. أصبح للنظام الإماراتي محطات وساسة وصحافيون (وبعضهم من 8 آذار). وهناك مواقع غريبة تنبت في فضاء الإنترنت كالفطر وجورج سورس (المموّل الخبيث لحملات أميركا ضد الشيوعية في الحرب الباردة والذي ينشط في الإعلام العربي «الجديد») يرعى عدداً من المواقع الإخبارية. تقدّم وتحضّر، وتحدّث عن تجربتك السابقة وكيف أنك انتقدتَ نفسَك من الضلال.

لكن ماذا عن طبيعة نظام الحكم في معسكرك؟ أنت ستلاحظ أن هناك مفارقة: فريقك يعيّر النظام السوري والإيراني على غياب الديمقراطية وأنت تنفيذاً بظل نظامَيْن مستبدَّيْن ظالمَيْن. والنظام الإماراتي قد يكون أقسى نظام هيمنة مخابراتيّة وسطوة تجسّسية تخترق الخصوصيات منذ زمن صدام حسين. لا، النظام الإماراتي فاق هيمنة المخابرات الصدامية لأن التقنية الإسرائيلية التي يتزوّد النظام الإماراتي بها تتيح له القدرة على اختراق أي خصوصيّة (يروي سجناء رأي سابقون أنهم بعد عودتهم إلى منازلهم من السجن وجدوا في صدر المنزل جهازاً إلكترونياً لا يبرحُ أيّ فرد في العائلة على المساس به). وسيقولون لك: النظام الإماراتي يفرض سيطرة توتاليتارية على المجتمع وأن التقنيّة الإسرائيليّة للتجسّس والرصد تدخل في كل بيت وعلى كل هاتف وحاسوب، وسيذكّرونك أن عقوبة التغريد بغير مشيئة الحاكم تصل إلى 15 سنة سجن. عندها تقول لهم وبحزم شديد ومن دون إبداء أيّ امتعاض: إن أطول برج موجود في دبي، وأن أكبر عجلة ترفيهيّة في العالم موجودة في دبي (وقد أفردت جريدة «النهار» المفتتَنة منذ تولّي غسان تويني رئاسة تحرير باستبداد دول الخليج، مساحة لهذا الإنجاز). لو قالوا لك إن النظام السعودي يقطع الرؤوس في الساحات العامّة وإنه قتل بالمنشار صحافيّاً تابعاً لهم (وأخلص لهم الطاعة والسجود على مرّ العقود)، قُل لهم: لكن النظام السعودي سيُنشئ شركة طيران جديدة تنافس شركات طيران الإمارات، وأن مطار كان مخابرات صدّام حسين، وغسان شربل، متنقّل مثله مثل حازم صاغية: من خالد بن سلطان إلى محمد بن سلمان.

لكن عليك واجبات. يجب أن تذمّ كل رفاقك السابقين وأن تبتعد عن خطابهم. عليك عندما تقول كلمة إمبريالية أن تقولها بسخرية شديدة، وعندما تقول كلمة مؤامرة أن تلوك لسانك كي تبدو القلعة بعيدة عن الواقع. وعليك أن تبدأ بخطاب «لا يمين ولا يسار في عالم اليوم» وأن أنظمة الخليج بلغت مرتبة الممالك الفاضلة وأن غزة هي المثال البشع للعرب (عندما تقرأ في صحف الخليج أو على لسان وليد جنبلاط وغيره من أتباع حاشية الأمراء أن الخيار هو بين «هونغ كونغ وغزة» يفترض هؤلاء أن غزة فقيرة وتعاني بإرادة أهلها، وأن الشعب الفلسطيني أو «حماس» هي المسؤولة عن بؤس القطاع. أي أن هذا الخطاب العربي الشنيع ـ وهو منتشر على مواقع التواصل ـ أعفى الاحتلال من المسؤوليّة. بشحطة كليشيه بشعة استطاع هؤلاء أن يسدّدوا للاحتلال الصهيوني خدمة جليّة. يقولون إن الشعب الذي يعيش تحت وطأة احتلال الوحشي هو المسؤول عن معاناته وأن المحتل لا علاقة له بمعاناته. هذه مقولة لم يبرع بها الاستعمار في عزّه). أنتَ حسمتَ خيارك ولن تندم عليه. أنت ستبدو حضاريّاً ومتقدّماً أمام أقرانك وسيذكرون لك المثل الألماني السمح أنه من الغباء أن يستمرّ المرء في قناعات يسارية في منتصف العمر. سيقولون لك انك تحرّرت وأن أمامك حقولاً من المال وأنك قد تُدعى ذات يوم إلى مجلس أمير. وكانوا في جريدة «الحياة» يتمثّلون دائماً في كيف أن خالد بن سلطان ابتاع منزلاً في حيّ راقٍ في لندن لجهاد الخازن. لكن العرض بات كبيراً جداً والطلب أقل. كانوا في الماضي يستعينون بلبنانيّين لكن الصحافيّين الخليجيّين يقومون بالمهمّة على أكمل وجهة. خصوصاً أن خطابهم لا يعاني من التملّق الفظيع والمهين الذي يشوب خطاب اللبنانيّين واللبنانيّات في صحف وشاشات الخليج. وهناك دعوات سائدة في دول الخليج للتخلّي عن «الأجانب» في الإعلام (في الإمارات، العربي أجنبي والإسرائيلي حبيب). لكن أمامك فرص متنوّعة، وأجهزة الدعاية الغربيّة والخليجيّة في حالة تعاون وتنسيق. أنتَ اليوم ولدتَ من جديد، ويمكن لك أن تنحني في تدريب لمرحلتك الجديدة. انحنِ.

* كاتب عربي. حسابه على تويتر @asadabukhalil

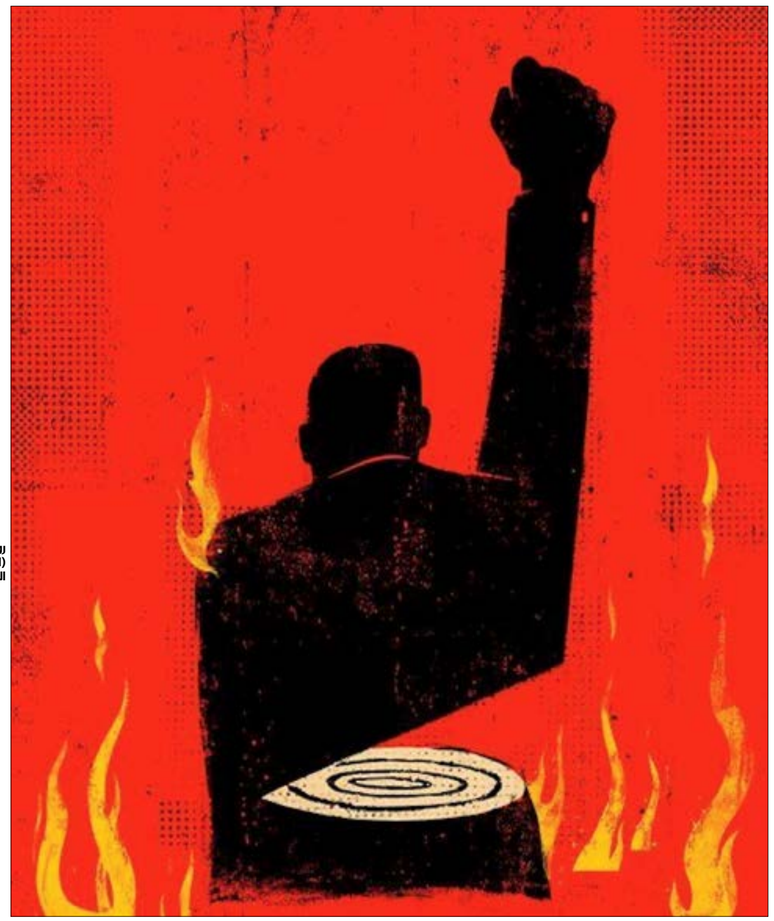
روبرت نيومان (الولايات المتحدة)



# سمير جعجع... هل هو «الحل»؟

**سعد الله مزرعاني ***

لم يخرج مسار التّحقيق بشأن المسؤولية عن انفجار مرفأ بيروت، الكبير والخطير والمدمِّر، عن مسار التّوقعات الأكثر تشاؤماً. المحاسبة وتحديد المسؤوليات عن كلّ ارتكاب، مهما عظُم ، ليسا موجودَين في التقاليد «العريقة» لمنظومة المحاصصة السائدة.

لكن ذكرى مرور سنة على الانفجار القاتل كان لها موقعاً مميزاً في خارطة الصراع المتمادي في لبنان، تحديداً بالنسبة للفريق الذي توجّهه واشنطن عبر موفديها وسفارتها، وبالتعاون مع حلفائها وأتباعها الخارجيّين والإقليميّين والمحليّين. حملة التعبئة السياسية والإعلامية الهائلة كانت في خدمة استغلال الذكرى الأليمة لإحداث انعطافٍ نوعي كبير في مجرى متصاعدٍ لاستهداف «نواة» السلطة الممثّلة للأكثرية النيابية. كان المؤمل أن يتجمع من الحشود، ما يسمح، على الأقل، باجتياح المجلس النيابي. استُهدف مقر المجلس مراراً وتكراراً دون أن يتمكن «الثوار» من الوصول إليه بسبب قلّة عددهم، وكذلك بعد أن تحوّل إلى حصن حديدي تحرسه شرطة تابعة لرئيسه هي أقرب إلى ميليشيا منها إلى جهاز رسمي (شأن سائر الأجهزة الأمنية الموزعة الانتماءات والولاءات بين أقطاب المحاصصة المهيمنة على كل الأجهزة الرسمية، الأمنية والقضائية والإدارية والمالية و...). إسقاط المجلس كان سيشكل الخطوة الأولى الكبيرة نحو انهيار الدولة ورموزها ومؤسساتها التي ما زالت قائمة، ولو أن شرعيتها تآكلت إلى مستوى باتت معه مجرّد هياكل فارغة ينعق فيها الخراب ولا تملك حيال تعاظمه شيئاً.

إسقاط المجلس النيابي كان سيستتبع، بالضرورة، إسقاط رئيس الجمهورية الذي شكل الهدف الأول في مسار مُلِح لإحداث تحوُّل في السلطة لمصلحة الفريق المتعاون مع الثنائي الأميركي الخليجي (وثالثهما، ضمناً، الفريق الإسرائيلي). لم تنفع الدولارات الطازجة التي أنفقتها، أو نظمت إنفاقها، السفارة الأميركية في بيروت، على الأتباع والجمعيات والأحزاب. لم تنفع، أيضاً، الحملة الإعلامية الهائلة التي اختلطت فيها الشاشات والسياسات، متنافسة في التحريض لجرّ مئات الآلاف إلى الشارع تحت شعار: لكي «يكون ما بعد الرابع من آب، ليس كما قبله». لم ينفع أيضاً نزول البطريرك بشارة الراعي إلى الساحة بكامل عدته الكهنوتية والتنظيمية: يكرز بفضائل «الحياد» (حيال المشروع الصهيوني) الذي هو سرّ وجود لبنان في الماضي وضمانة بقائه في المستقبل. وهكذا لم يتجمّع مئات الألوف لإسقاط المجلس. لم يتجاوز عدد مهاجمي مقرّه بضع مئات: لم يتغير ما بعد 4 آب عما كان قبله...

قد يعتبر البعض ما عرضناه وما استنتجناه مجرّد تحليل أو وجهة نظر بشأن هذه المحطة من محطات الأزمة المتعاظمة بشكلٍ لا يرحم. لكن د. سمير جعجع، رئيس حزب «القوات اللبنانية» «يصوّب» البوصلة في خطابه الأخير في 5 الجاري، بدت النغمة «الطازجة»، جليّةً على الاحتفال الباذخ والذي قدّم فيه «الحكيم» نفسه «قبطاناً» منقذاً وليس «قرصاناً» أنانياً كما يفعل الرئيس ميشال عون. حاول جعجع تجاوز «نكسة» الرابع من آب ( الذي كانت تستحق ذكراه الأولى أكثر من مجرد استغلالها في الصراعات وفي مخطّط السفارات) . بإرادة وتصميم من اختبر الصّعود والهبوط، وبإصرار صاحب المشروع السياسي القديم الجديد، وبطموح السّاعي بثقة، بدت مبالغاً فيها، إلى سدّة الرئاسة الأولى، كشف جعجع بكامل الوضوح والصراحة، المراحل المقبلة من خطة فريقه» سعياً لتأمين الغلبة ضد خصومه. تعتمد هذه الخطة في مرحلتها المقبلة على الانتخابات النيابية في أيار القادم. التعويل هو على ترجمة النقمة الشعبية في صناديق الاقتراع، ليس تعبيراً عن غضب وسخط المواطنين على المنظومة الحاكمة، بل من أجل تحقيق انتصار لفريق منها، هو الأكثر ارتباطاً بالمشاريع الغربية، على حساب فريق آخر. ببساطة، الفريق المعني، خصوصاً منذ عام 1992 حتى اليوم (أي منذ الحريري الأب الشهيد، حتى الحاكم الدائم رياض سلامة، مروراً بفؤاد السنيورة ومعظم أطراف منظومة التّحاصص والفريق السّوري الذي كان يوجّه السلطة... ) هو الذي اعتمد التوجّهات وأدار السياسات التي أدّت إلى انهيار البلد وإفقار وإذلال شعبه: بالنهب والفساد، بالأخطاء، بالفئوية، بالتبعية، بالرهانات الخاطئة داخلياً وخارجياً... فعلياً، ليس في جعبة جعجع، وهو يتصدّى ليتصدّر، إلّا تجريب المجرَّب في النهج والعلاقات والمواقف والنتائج... إذاً التعويل الأول هو على ربح الانتخابات القادمة: بعدّة دعائيّة تحريضيّة هائلة، وبدولارات طازجة، وبتضليل المواطن. وبدعم خارجي يُترجم عقوبات وعوداً ووفوداً، وبعجز ورعونة وفئوية معيبة للسلطة، وبغياب البديل الوطني. أمّا التعويل المُكمّل، ففي أن يصل جعجع إلى سدّة الرئاسة على الفور، بعد الانتخابات، وبعد إقالة الرئيس عون، فيُدير «حواراً وطنياً» يكرّس المتغيّرات المنشودة في التّوازنات والخيارات.

لكنّ جعجع الذي اختبر الصّعود والهبوط، كما أشرنا، استدرك، في حال حصول مفاجأة غير سارة في الانتخابات، بالتّهديد بخطّةٍ بديلة. إنها «الثورة الشعبيّة في الشارع» التي تدشّن سيناريو الفوضى بوسائل الفتنة والتقسيم والتوتّرات الشاملة والتّدخل الأجنبي... على غرار ما حصل أثناء الحرب الأهلية (1975-1989).

لا شكّ أن جعجع يأمل ويواظب ويحاول الاستنهاض. هو انتقل الآن، إلى القتال باللّحم الحيّ بعد أن انهار الكثير من الدّفاعات والأدوات الواقية والمُوهمة من أمامه. يدرك جعجع أن سياسة واشنطن في عهد بايدن ليست مطابقة تماماً لسياستها في عهد ترامب. نكسة أفغانستان رغم جهود تحويل الهزيمة الدويّة بالمناورات، إلى مسار انتصاري، غير مضمونة النتائج. التّورط الأميركي في الخارج إلى مزيدٍ من الانحسار بما في ذلك من الشرق الأوسط. إسرائيل من جهتها، تمرّ بمرحلة اضطراب بسبب تحدّيات مقاومة متصاعدة وارتباك قيادي وتحوّلات أميركية. أمّا السّعودية فتُكابد، دون العثور على مخرجٍ يحفظ ماء وجهها، مصاعب ومخاطر وخسائر لا تنتهي في اليمن.

رهانات جعجع القديمة الجديدة التقسيميّة ما زالت ماثلة بقوةٍ في ذهنه وفي إعلامه وفي الأجواء السائدة بين محازبيه ومناصريه. خطرها الأول أنّها تنشط حالياً في ظروف انهيار في البلد، شامل وغير مسبوق. أما خطرها الثاني فكونها تقع في نطاق مشروع أميركي إسرائيلي خليجي يستهدف تعطيل المقاومة ضد العدو الصهيوني وضرب قدرتها على ردع عدوانه. مشروعٌ يستهدف أيضاً، إزالة العقبات التي تحول دون اندفاعة التطبيع مع العدو ودون الإمعان في تصفية حقوق ونضال الشعب الفلسطيني.

بين خيار المنظومة التّحاصصيّة الذي قاد إلى الانهيار، وبين الخيار التآمري الذي يشكل جعجع أحد أدواته الخطيرة، لا بدّ من خيارٍ جديد لإحباط التآمر وصيانة الإنجازات وإنقاذ لبنان واللبنانيّين من الكابوس المرعب الراهن.

* كاتب وسياسي لبناني

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، أمل الأتحري
■ المدير العام: صلاح الموسى
صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل ـ 15 ـ 01/666314 03 / 828381
■ الموقع اللكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

على الغلاف

# حرب العشرين سنة أميركا ليست نهاية التاريخ

**لم تكن «الحرب على الإرهاب» إيديولوجية مجرّدة من سياقٍ، روّجت له المراكز الإمبريالية، على مدى القرنَين الماضيَين، لتسويغ توسُّعها. لكن «مشروع القرن الأميركي الجديد» الذي تلقّف هجمات 11 أيلول، بوصفها «فرصة تاريخية» لتثبيت ركائز الهيمنة، كان «صرحاً من خيال فهوى». لم تتعلّم الولايات المتحدة درس فيتنام، بل أصرّت على أن النصر سيكون حليفها في حرب صارت أشبه بـ«ديانة»، وظلّت تعيد إنتاج نفسها عاماً تلو آخر، حتى صار الهرب ملاذ أميركا الأخير**

وليد شرارة

لم تختلف وظيفة إيديولوجية «الحرب على الإرهاب» عن تلك التي أدّتها إيديولوجيات سبقتها، وروّجت لها المراكز الإمبريالية في القرنَين المعمورة، وسيطرتها عليها. فمن «المهمّة الحضارية» و«عبء الرجل الأبيض» في بدايات القرن التاسع عشر، إلى «مكافحة الشيوعية» في النصف الثاني من القرن العشرين، غلّفت هذه المراكز مشاريعها للغزو والاحتلال والنهب بسرديات ترتكز بنفس المفردات الرنّانة عن الحرية والاستبداد، والحضارة والبربرية، والتسامح والكراهية، والانفتاح والانغلاق والتعصّب، وغيرها من المفاهيم الجوفاء. وعلى مدى قرنَين، تمّ قتل وإذلال البشر «الفعليين» باسم حقوق إنسان «مجرّد». المجموعة التي صاغت إيديولوجية «الحرب على الإرهاب»، في مطلع الألفية الثانية، وجلّها من المحافظين الجدد، كانت قد أنشأت مركزاً، في 3 حزيران 1997، سمّته «المشروع من أجل قرن أميركي جديد»، استناداً إلى مقالٍ لبروبرت كاغان ووليليام كريستول، نُشر في «فورين أفيرز» بعنوان «نحو سياسة خارجية نبيو ريغانية». في صيف عام 1996، يوجّه نقداً لاذعاً إلى مقاربات إدارة بيل كلينتون في الشؤون الخارجية، ويدعو إلى اعتماد توجّهات أكثر هجومية تعزّز الموقع القيادي للولايات المتحدة على الصعيد الدولي وهيمنتها «الحميدة». وقّع على البيان التأسيسي للمركز، 25 شخصاً، بينهم 10 احتلّوا، بعد ثلاث سنوات، مناصب رئيسة في إدارة جورج بوش الابن الأولى، كدونالد رامسفيلد وديك تشيني وبول وولفوفيتز. الفكرة المركزية التي طرحتها هذه المجموعة هي أن إعادة صياغة الشرق الأوسط انطلاقاً من العراق، تمثّل الشرط الأساسي لترسيخ الهيمنة العالمية لواشنطن. وقعت هجمات 11 أيلول 2001، وتوفّرت «الفرصة التاريخية» لوضع هذا المشروع موضع التنفيذ. بعد مُضيّ 20 عاماً، يستشهد دومنيك موريزي، الخبير الجيوسياسي الفرنسي والمفكّر اليميني الوثيق الصلة بأوساط صناعة القرار والثروة في الغرب الأورو-أميركي، في مقال نُشر على موقع «وورد كرانش» بعنوان «هدية بن لادن غير المتوقّعة للصين وروسيا»، بقول لكارل ماركس، مقتبس من كتابة المهمّ «برومير الثامن عشر للويس بونابرت»، يعتبر فيه أن «الناس يصنعون تاريخهم، لكنهم لا يصنعونه وفقاً لرغباتهم». «الناس»، في نظر موريزي هنا، هم تنظيم «القاعدة» الذي فشل في تحقيق هدفه النهائي بطرد الولايات المتحدة من العالم الإسلامي وإحياء دولة الخلافة، والمستفيدَان الفعليّان من الهجمات وتداعياتها البعيدة المدى، هما أوّلاً الصين وروسيا. غير أن ما يتغاضى عنه الخبير الفرنسي هو أن هذا القول ينطبق تماماً على ما قام به المحافظون الجدد، وجميع الإدارات الأميركية المتعاقبة منذ تاريخ وقوع الهجمات. فالشرق الأوسط تمّ إعادة صياغته بالفعل، ولكن على الضدّ من مخطّطات واشنطن، ومشروع القرن الأميركي الجديد كان «صرحاً من خيال فهوى».

> **تتمّ إعادة صياغة الشرق الأوسط، ولكن على الضدّ من مخطّطات واشنطن ومشروع القرن الأميركي الجديد**

### نسيان «درس فيتنام»

استندت الهيمنة الأميركية على الصعيد الدولي إلى ركيزتَين رئيسيّتَين: التفوّق العسكري النوعي على جميع دول المعمورة، وانتشار شبكة قواعد عسكرية (800 قاعدة)، في أنحائها، وشبكة تحالفات واسعة ضمّت عدداً كبيراً من الأنظمة، كان بعضها في بلدان الجنوب تحديداً، مجرّد وكيل محلّي لواشنطن. لم تتردّد الأخيرة، عندما اقتضى الأمر ذلك، من إرسال مستشارين وقوات خاصة لمساندة هذا الوكيل أو ذاك، لكنّ السيطرة والتحكّم كانا يمرّسان عن بعد. المرّة الأولى التي تعرّض فيها هذا النمط من الهيمنة للاهتزاز الجدّي، كان خلال حرب فيتنام، عندما أقحمت الولايات المتحدة بعشرات الألوف من جنودها في حرب احتلال طويلي الأمد، انتهى بهزيمة منكرة. أدّت «عقدة فيتنام» الناجمة عن هذه الهزيمة إلى فتح نافذة فرص أمام حركات التحرّر الوطني في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية، سمحت لها بإنجاز سلسلة من الانتصارات، كما حصل في أنغولا وموزمبيق وزيمبابوي ونيكاراغوا وإيران. الدرس المحوري الذي التقت إليه البعض في المؤسسة العسكرية الأميركية أنذاك، هو ضرورة تجنّب التورّط في احتلال عسكري مباشر، والسعي إلى تحقيق الانتصار عن بعد، ما مهّد إلى الاستثمار الضخم في ما سمّي بـ«الثورة في الشؤون العسكرية» التي تفترض إمكانية الانتصار في الحرب دون خوض المعارك مباشرةً اعتماداً على التكنولوجيا المتطوّرة. وجاءت الحرب الأولى ضدّ العراق في عام 1991، بذريعة تحرير الكويت، لتكون ترجمة عسكرية لهذه الثورة. غير أن الطفرة الإمبراطورية الناتجة عن الانتصار في الحرب الباردة بعد انهيار الاتحاد السوفياتي ومنظومته الاشتراكية، والقناعة بالطابع «الخارق» للقوّة الأميركية المؤسَّسة على الثقة العمياء بالتفوّق التكنولوجي في الميادين العسكرية والمدنية، وبقدرة النموذج الذي بات أفقاً أبدياً لبقية الإنسانية، هي جميعها عوامل قادت إلى نسيان «الدرس الفيتنامي» المؤلم. لم يخطئ مَن لحظ المحافظين الجدد، بعد هجمات أيلول، سعوا إلى أسرلة السياسة الخارجية عبر الدفاع عن مفاهيم من نوع «الحرب على الإرهاب» و«الحرب الاستباقية» والاحتلال الطويل الأمد لبلدان بعينها لمنع «الإرهابيين» من البقاء في السلطة أو العودة إليها. هم فعلوا ذلك أصلاً خدمةً لإسرائيل، وجميعهم من الصهاينة المتطرّفين، كما أظهر العديد من الباحثين والخبراء الذين استفاضوا في تحليل خلفيات ومبرّرات الحرب على العراق في عام 2003، باعتبارها حرباً «اختيارية» وليست حرباً «ضرورية». هذا ما أثبته جون ميرشايمر وستيفن والت في كتابهما المرجعي «اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأميركية» الصادر في عام 2008. تفكيك الدولة العراقية ومؤسساتها لإعادة بنائها بإشراف قوات الاحتلال الأميركية، وإسقاط نظام «طالبان» وإعادة «بناء أمّة»، تطلّب، في أحد أطواره، العودة إلى خوض حرب مكافحة تمرّد دامية وباهظة الأكلاف، وهي سياسات أفضت إلى غرق الولايات المتحدة في «وحول» الشرق الأوسط مع مفاعيل طويلة الأمد ما زلنا نشهدها إلى الآن. قوى هي جميعها عوامل قادت إلى نسيان «الدرس الفيتنامي» المؤلم. لم يخطئ مَن لحظ المحافظين الجدد، بعد هجمات أيلول، سعوا إلى أسرلة السياسة الخارجية عبر الدفاع عن مفاهيم من نوع «الحرب على الإرهاب» و«الحرب الاستباقية» والاحتلال الطويل الأمد لبلدان بعينها لمنع «الإرهابيين» من الأميركية، مثل زبيغنيو بريجنسكي وبرينت سكوكروفت، ومن ثم ريتشارد هاس، حذّرت مبكراً من مغبّة الغرق في الشرق الأوسط وتجاهل الديناميات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعتمل في مناطق أخرى من العالم، خاصة في تلك البلدان المؤهّلة لتصبح منافساً من المستوى نفسه للولايات المتحدة. يجزم كثيرون بأن باراك أوباما كان مدركاً لهذه الحقائق عندما قرّر الانسحاب من العراق في أواخر 2011، وألقى خطابه الشهير عن «الاستدارة نحو آسيا» في عام 2012، غير أنه عجز عن اتخاذ القرار بالانسحاب من أفغانستان، على رغم وعده بذلك، بل وأرسل آلاف الجنود إلى ذلك البلد لمكافحة التمرّد. لم يرغب في أن يُتّهم بالمسؤولية عن انسحاب هو صنو للإقرار بالهزيمة، ومثله فعل دونالد ترامب. جو بايدن اتّخذ هذا القرار، لكنّ المشاهد التي راها أعداء الولايات المتحدة وأصدقاؤها في مطار كابول ستحفر عميقاً في ذاكرتهم. انتهت «الحرب على الإرهاب»، وتجد واشنطن نفسها اليوم في مقابل منافسَين استراتيجيَين يتمتّع أحدهما، وهو الصين، بقدرات اقتصادية وتكنولوجية وبموقع مركزي في الاقتصاد الرأسمالي العالمي، وبشراكة استراتيجية وعسكرية متعاظمة مع روسيا، تضعه في مصاف لا يمكن مقارنته بذلك الذي كان عليه الاتحاد السوفياتي ومعسكره. التنافس يحتدم في ميدان التكنولوجيا، حيث للصين دور ريادي في تطويرها، وفي داخل المنظومة الرأسمالية العالمية، وهي أحد أقطابها، إضافة إلى الميادين العسكرية والاستراتيجية. المستلهمة من زمن مضى وضدّ خصم لا يمتلك نفس المزايا والمقوّمات، وكذلك سباق التسلّح في كبح صعود الصين؟ ليس من الاستعجال الإجابة على هذا السؤال بالنفي، إذا أخذت في الاعتبار عوامل كالشرخ الداخلي العميق الاجتماعي - السياسي في أميركا، واهتزاز ثقة حلفائها بها وتردّدهم في الانقياد الأعمى خلفها في «حرب صليبية» ضدّ الصين وربّما روسيا. وقد يكون إصرار واشنطن على المضيّ في مثل هذه المخطّطات، بدلاً من محاولة التوصّل إلى تفاهمات وترتيبات مع بكين، خطأ استراتيجياً جديداً يعمّق من حدّة تراجعها، كما أدّت المفاعيل الطويلة الأمد لـ«الحرب على الإرهاب» إلى تبدّد أوهام القرن الأميركي الجديد.

### زمن جديد غير أميركي

بعض الأصوات الوازنة في النخبة

نسيت الولايات المتحدة درس فيتنام. والصعود التدريجي وعن ثم المتسارع للصين وروسيا (أ ف ب)



# سنوات التيه: «القاعدة» التي شبعت موتاً

**عبد الرزاق الجمل**

بعد مرور 20 عاماً على أحداث الحادي عشر من أيلول 2001، يبدو أنّ تنظيم «القاعدة» قد «مات وشبع موتاً»، بحسب ما يرى «جهاديّ» سابق، عاش أيّام «الجهاد» في أفغانستان والتقى بـ«الشيخَين» أسامة بن لادن وأيمن الظواهري، معتبراً أنّ السبب في ذلك هو الضعف الذي اعترى التنظيم منذ مقتل ابن لادن في عملية أميركية عام 2011، وظهور تنظيم «داعش». ويفصّل «الجهادي» الذي كان في أفغانستان قبل 11 أيلول وبعده، في حوار مع «الأخبار»، أسباب التراجع بـ«سوء القيادة»، وظهور تنظيم الدولة الإسلامية، وما ترتّب عليه من صراع بين الأخير وبين فصائل جهاديّة في سوريا، وتأييد القاعدة لهذه الفصائل»، مضيفاً أنّ «تشتّت القاعدة الأمّ في خراسان بين أفغانستان وإيران وباكستان، وعدم وجود الاتصال الكافي مع الفروع الأخرى، من الأسباب التي زادت التنظيم ضعفاً أيضاً».

ويشير إلى أن «رمزية القاعدة كانت في الشيخ أسامة بن لادن»، مبيّناً أن «هناك فرقاً كبيراً» بين الأخير وبين الظواهري، فـ«ابن لادن شخص يجتمع عليه كلّ الفرقاء، ويتميّز بشخصية قيادية، ويحبّ مقاتليه ويهتمّ بهم، وله سابقة في الجهاد. أمّا أيمن الظواهري فهو وإن كانت له سابقة جهادية، وتعرّض للتعذيب، وقُتل كلّ أفراد أسرته في قصف أميركي، إلّا أنه لا يحمل الكاريزما نفسها»، ولذا «ضعُفت في عهده القاعدة، وحدثت انشقاقات في جماعة الجهاد المصرية التي كان يتزعّمها، فضلاً عن القاعدة. ومن سوء قيادته انحيازه للجولاني في سوريا ضدّ الدولة الإسلامية، في حين من الاستعجال الإجابة على هذا السؤال بالنفي، إذا أخذت في الاعتبار عوامل كالشرخ الداخلي العميق الاجتماعي - السياسي في أميركا، واهتزاز ثقة حلفائها بها وتردّدهم في الانقياد الأعمى خلفها في «حرب صليبية» ضدّ الصين وربّما روسيا. وقد يكون إصرار واشنطن على المضيّ في مثل هذه المخطّطات، بدلاً من محاولة التوصّل إلى تفاهمات وترتيبات مع بكين، خطأ استراتيجياً جديداً يعمّق من حدّة تراجعها، كما أدّت المفاعيل الطويلة الأمد لـ«الحرب على الإرهاب» إلى تبدّد أوهام القرن الأميركي الجديد.

> **خطة الشيخ ابن لادن نجحت في أفغانستان وفشلت في العراق والشام**

انتعاش «القاعدة» من جديد؟ يحتمل «الجهادي» السابق أن يحدث ذلك في اليمن، بشرط قدرة فرع التنظيم على الخروج من كبوته الأخيرة، إضافة إلى وجود القيادة الحقيقيّة والسيولة البشرية، أمّا عالمياً فلا. لقد شبعت موتاً كما قلت لك. أخذ مكانها تنظيم الدولة الإسلامية وهو البديل لها». لكن، ماذا عن أفغانستان؟ ألا يمكن أن تعود «القاعدة» هناك بعد سيطرة حركة «طالبان» على كلّ أنحاء البلاد؟ «لا أتوقّع ذلك. قد يكون لهم ملجأ آمناً نعم، لكن مقابل عدم العمل الخارجي، ثمّ إن السيولة البشرية انتهت، هناك بضعة أفراد مع الظواهري

«رمزية القاعدة كانت في الشيخ أسامة بن لادن» (من الويب)

مدن السُنّة أُحرقت ودُمّرت، مع أن الخلل ليس عندهم، ولكن الجماهير المسلمة لم تقبل بهم، واستخدمت الدول ضدّهم المؤسّسات الدينية، ومراكز الإفتاء الرسمية، و جماعة الإخوان، بجعلهم شياطين الأرض، وهذا له تأثيرٌ كبيرٌ عند الجمهور»، بحسب تفنيد «الجهادي» السابق.

على رغم كلّ ما تَقدّم، هل يمكن توقُّع انتعاش «القاعدة» من جديد؟ يحتمل «الجهادي» السابق أن يحدث ذلك في اليمن، بشرط قدرة فرع التنظيم على الخروج من كبوته الأخيرة، إضافة إلى وجود القيادة الحقيقيّة والسيولة البشرية، أمّا عالمياً فلا. لقد شبعت موتاً كما قلت لك. أخذ مكانها تنظيم الدولة الإسلامية وهو البديل لها». لكن، ماذا عن أفغانستان؟ ألا يمكن أن تعود «القاعدة» هناك بعد سيطرة حركة «طالبان» على كلّ أنحاء البلاد؟ «لا أتوقّع ذلك. قد يكون لهم ملجأ آمناً نعم، لكن مقابل عدم العمل الخارجي، ثمّ إن السيولة البشرية انتهت، هناك بضعة أفراد مع الظواهري لا يتجاوزون عدد أصابع اليد، بريدون الأمان لا أكثر. صراحة، القاعدة انتهت، لكن يوجد فصيل جهادي أكثر صلابة وقوة منه واوضح رؤية، هو تنظيم الدولة الإسلامية، أغلب الأفراد يتركون القاعدة ويذهبون إليه»، مع التذكير بأن «طالبان» استقبلت مقاتلي «القاعدة» في السابق، وخاضت من أجلهم حرباً. «نعم، طالبان المُلّا عمر أحسنت إلى القاعدة، وضحّى المُلّا عمر بالدولة من أجل عدم تسليم القاعدة وزعيمها إلى أميركا. حدث ذلك على رغم معارضة الجانب الشرعي في القاعدة أبو حفص الموريتاني تنفيذ عملية 11 سبتمبر، لأنّ هذا يشكّل إخلالاً بشروط البقاء في ضيافة طالبان»، وفق ما يشرح «الجهادي» السابق.

ماذا عن «طالبان» نفسها، هل ثمّة فروقات بينها في الأمس واليوم؟ «طالبان بالأمس أشبه بتنظيم الدولة من حيث العقيدة العسكرية، وليس العقيدة الإسلامية. كانت ترفض الحوار والمساومة في قضايا كثيرة. مثلاً، تعليم المرأة كان للصف السادس فقط، عدم استخدام التلفزيون، عدم الانفتاح على العالم، وإن كان لها سفير في كلّ من باكستان والإمارات لأغراض تجارية، والسعودية للحج والعمرة، وسفير متجوّل كان يدخل بعض الأحيان بعض هيئات الأمم المتحدة، وكانت لا تسمح بطقوس الشيعة. لكن طالبان اليوم، الشيعة الهزارة موجودون في صفوفها، وانفتحت على العالم، وسمحت باستخدام واقتناء التلفزيون، والمتحدّث الرسمي باسمها يظهر كثيراً في الإعلام، كما دعت المعارضة إلى الحوار، ولم تمنع الشيعة من أعيادهم. انفتح طالبان على المعارضين لهم، في السّابق كانوا غالباً يقتلونهم مثلما فعلوا مع نجيب الله، الرئيس الشيوعي. طالبان خلال عشرين عاماً قدّمت شهداء وتضحيات، وأميركا حدث لها استنزاف، فخرجت بماء الوجه. طالبان اليوم من ناحية سياسية تتصرّف بشكل جيّد، وقد تمكّنت من إرضاء جميع الأطراف، وتعهّدت بتحكيم الشريعة، لكن الوقت ما زال مبكراً لإصدار حكم عام عليها، خاصة وأن الحكومة في طور المخاض، وعلينا أن نعرف برامجها أولاً ومدى قبولها محلياً ودولياً، لكن العقبة أمامها هو تنظيم الدولة، خاصّة وأن المنتمين للتنظيم أفغان»، يختم مُتحدّث «الأخبار».

# الحرب على الإرهاب كـ«ديانة»: أن تبشّر بغيث مسموم

**ملاك حمود**

«مشهد تلك الطائرات العملاقة وهي تُقلع مع أشخاص معلّقين على جوانبها، ومن ثمّ يتساقطون. لن تشاهدوا مثل هذا الشيء أبداً... ما جرى يمثّل أكبر الهزائم العسكرية في كلّ العصور». الرئيس الأميركي السابق، دونالد ترامب، بعد عشرين عاماً من انطلاق «الحرب على الإرهاب» في اليوم التالي لهجمات 11 أيلول 2001، خرج الرئيس الأميركي، جورج دبليو بوش، ليشدّ عصب أمّة منهارة من هول ما أصابها: «ستستغرق هذه المعركة وقتاً وتصميماً. لكن لا يخطئنّ أحد: سننتصر». على مدى العقدين التاليين، كان السعي إلى تحقيق نصر في «الحرب على الإرهاب» مركز السياسة الخارجية للولايات المتحدة، التي غزت، تحت هذا العنوان، دولتَين وشنّت حروباً هجينة في دول أخرى، ووسط صعود الجماعات الجهادية وسقوطها وصعودها من جديد. لكنّ أحداً لم يجب على السؤال الرئيس: ماذا يعني الانتصار في هكذا حرب؟ بالاستناد إلى آلاف الوثائق التي أميط اللثام عن جزء منها في أعقاب اغتيال أسامة بن لادن، عام 2011، تكشف نيللي لحود، في تقرير موسّع نُشر في مجلة «فورين أفيرز»، أن الطرف الآخر طرح السؤال نفسه. كان الهدف وراء هجمات الحادي عشر من أيلول، على حدّ تعبير بن لادن، «تدمير أسطورة المناعة الأميركية التي لا تُقهر»، «بكل المقاييس، شكّلت الحرب على الإرهاب أكبر مشروع لفترة الهيمنة الأميركية التي بلغت أجلها»، وفق بن رودس، نائب مستشار الأمن القومي في عهد باراك أوباما. ولكن «مكافحة الإرهاب» استقرّت على ما يسمّيه دانيال بيمان، في المجلّة نفسها، «عقيدة جيّدة بما يكفي»، تهدف إلى «إدارة التهديد الإرهابي، بدلاً من القضاء عليه».

### معضلة الباب الدوّار

في اليوم السادس والعشرين من آب الماضي، هزّت انفجارات عنيفة محيط مطار كابول، مودية بحياة 13 جندياً أميركياً هم حصيلة الخروج «المتعجّل» من أفغانستان. أعادت هذه الحادثة إلى الواجهة، السؤال القديم/الجديد: ما هي الحصيلة النهائية لنَسق «الحرب على الإرهاب»، الذي وضع له بوش هدفاً يوم الغزو: ملاحقة تنظيم «القاعدة» حتّى أبواب جهنّم. وفي ما يمثّل استنساخاً للحظة غابرة، تعهّد الرئيس جو بايدن بتعقّب تنظيم «داعش - ولاية خراسان» حتّى القضاء عليه. في مقياس تقييم «نجاح المهمّة»، تبرز مفارقة احتمال عودة التنظيمات الجهادية بعد 20 عاماً من انطلاق «الحرب العالمية على الإرهاب». نظرياً، انتهت هذه الحرب، يوم أماط وزير الدفاع الأميركي آنذاك، جيمس ماتيس، اللثام عن «استراتيجية الدفاع الوطني» (2018)، والتي حدّدت الصين وروسيا، باعتبارهما تمثّلان التهديد المتعاظم للأمن القومي الأميركي. ولكن عملياً، كانت النهاية قبل ذلك بقليل؛ عندما تحوّلت وسائل الإعلام الأميركية الكبرى إلى تعقّب دونالد ترامب، وتلهّت بعلاقته «المشبوهة» بالروس، وغيرها من الفضائح التي شكّلت لبنة العهد السابق. وهو ما جلّاه غياب الاهتمام بـ«الهجوم الإرهابي» الأوّل على الأراضي الأميركية، منذ 11 أيلول، على يد ضابط سلاح الجوّ السعودي، محمد الشمراني، والذي قتل فيه ثلاثة جنود أميركيين في قاعدة بينساكولا الجوية في فلوريدا. هذا الشعور بـ«انحسار العنف الجهادي»، وفق ما جاء في مقالة لدانيال بنجامين وستيفن سيمون في «فورين أفيرز»، انتقل إلى إدارة جو بايدن، التي حوّلت انتباهها، بدايةً، إلى الإرهاب الداخلي بعد واقعة «الكابيتول» الشهيرة.

> **وراء هجمات الحادي عشر من أيلول هدف رئيس: «تدمير أسطورة المناعة الأميركية»**

### انتصار بن لادن

ظلّ نسق «الحرب على الإرهاب» يعيد إنتاج ذاته عاماً تلو آخر، ولكنّ البعض يعتقد بأن اغتيال بن لادن في أبوت آباد الباكستانية، عام 2011، يُعدّ بمثابة الضربة القاضية لتنظيم «القاعدة».

في اليوم الحادي عشر من أيلول 2001، نفّذ «القاعدة» هجمته الكبرى. بالنسبة إلى أسامة بن لادن وآخرين، تقول لحود، «مثّل الهجوم ما هو أعظم بكثير من مجرّد عمل إرهابي: إطلاق حملة عنف ثوري من شأنها أن تبشّر بعصر جديد. كانت أهداف بن لادن جيوسياسية... تقويض النظام العالمي المعاصر للدول القومية وإعادة إنشاء الأمّة». اعتقد الرجل أن في مقدوره تحقيق هدفه من خلال توجيه ما وصفه بـ«الضربة الحاسمة» التي ستجبر الولايات المتحدة على سحب قواتها العسكرية من العالم الإسلامي. في السنوات التي تلت اغتيال بن لادن، رفعت الحكومة الأميركية السرية عن بعض الوثائق التي استحوذت عليها من مخبئه في أبوت آباد، لكنّ الجزء الأكبر منها ظلّ قيد الاختصاص الحصري لمجتمع الاستخبارات. وفي تشرين الثاني عام 2017، رفعت «وكالة الاستخبارات المركزية» السرية عن 470 ألف ملفّ رقمي، تتكوّن من مذكّرات بن لادن، ومراسلاته مع شركائه، ورسائل كتبها أفراد من عائلته، وغيرها من الوثائق التي تُقدّم صورة عن «الحرب على الإرهاب» بعيون هدفها الرئيس.

في عام 1986، اقترح بن لادن، للمرّة الأولى، أن يضرب الجهاديون في الداخل الأميركي لوضع حدّ لمعاناة الفلسطينيين. كان اهتمامه بفلسطين حقيقياً، وفق الكاتبة التي اطلعت على جزء من الوثائق، وكثيراً ما ذكّر رفاقه بأن معاناتهم كانت «سبب بدء جهادنا». في «إعلان الجهاد»، لعام 1996، كتب بن لادن: «إخواني المسلمين في العالم، إخوانكم في أرض الحرمين وفلسطين يدعونكم إلى المساعدة ويطلبون منكم المشاركة في القتال ضدّ العدوّ، عدوّكم: الإسرائيليون والأميركيون». أمل بن لادن في أن تشكّل هذه المعركة الجماعيّة خطوة أولى على طريق إحياء الأمّة. واتضح سريعاً استعداده لدعم أقواله بالأفعال. فنفّذ «القاعدة»، عام 1998، تفجيرات متزامنة استهدفت سفارتَي الولايات المتحدة في كينيا وتنزانيا، وأسفرت عن مقتل 224 شخصاً. وتبع العملية هذه، بعد سنتين، استهداف المدمّرة الأميركية «كول»، بينما كانت تتزوّد بالوقود في ميناء عدن، وهو ما أسفر عن مقتل 17 من أفراد البحرية الأميركية. بعد ذلك، أبلغ بن لادن حشداً من مؤيديه بأن الهجمات تمثّل «نقطة تحوّل حاسمة في تاريخ صعود الأمّة». وبحسب أوراق أبوت آباد، قرّر، بعد وقت قصير من الهجوم على المدمّرة «كول»، مهاجمة الأراضي الأميركية. وراء هجمات الحادي عشر من أيلول هدف رئيس: «كسر الخوف من هذا الإله الزائف وتدمير أسطورة المناعة الأميركية». لم يمضِ أسبوعان على الحادثة، حتى أصدر بن لادن بياناً مقتضباً على شكل إنذار للولايات المتحدة: «لديّ بضع كلمات فقط لأميركا ولشعبها. أقسم بالله العظيم الذي رفع السماوات دون جهد، أن لا أميركا ولا أيّ شخص هناك سينعم بالأمان حتى يصبح الأمان حقيقة لنا نحن في فلسطين، وقبل أن تغادر كل جيوش الكفّار أرض محمد».

لم تروّض هجمات 11 أيلول «الوحش» الأميركي، كما كان مؤمّلاً، لكنّ الحرب المسمومة على الإرهاب طلّت تلاحق الولايات المتحدة كطيف يأبى الفكاك، أغرقها في وحل لم تعرف كيفية الخروج منه إلّا هرباً على متن طائرات عملاقة عُلّق على جوانبها مَن أرادوا اللوذ بجلدهم في قضايا كثيرة. مثلاً، تعليم المرأة كان للصف السادس فقط، عدم استخدام التلفزيون، عدم الانفتاح على العالم، وإن كان لها سفير في كلّ من باكستان والإمارات لأغراض تجارية، والسعودية للحج والعمرة، وسفير متجوّل كان يدخل بعض الأحيان بعض هيئات الأمم المتحدة، وكانت لا تسمح بطقوس الشيعة. لكن طالبان اليوم، الشيعة الهزارة موجودون في صفوفها، وانفتحت على العالم، وسمحت باستخدام واقتناء التلفزيون، والمتحدّث الرسمي باسمها يظهر كثيراً في الإعلام، كما دعت المعارضة إلى الحوار، ولم تمنع الشيعة من أعيادهم. انفتح طالبان على المعارضين لهم، في السّابق كانوا غالباً يقتلونهم مثلما فعلوا مع نجيب الله، الرئيس الشيوعي. طالبان خلال عشرين عاماً قدّمت شهداء وتضحيات، وأميركا حدث لها استنزاف، فخرجت بماء الوجه. طالبان اليوم من ناحية سياسية تتصرّف بشكل جيّد، وقد تمكّنت من إرضاء جميع الأطراف، وتعهّدت بتحكيم الشريعة، لكن الوقت ما زال مبكراً لإصدار حكم عام عليها، خاصة وأن الحكومة في طور المخاض، وعلينا أن نعرف برامجها أولاً ومدى قبولها محلياً ودولياً، لكن العقبة أمامها هو تنظيم الدولة، خاصّة وأن المنتمين للتنظيم أفغان»، يختم مُتحدّث «الأخبار».

شكّلت الحرب على الإرهاب أكبر مشروع لفترة الهيمنة الأميركية التي بلغت أجلها (أ ف ب)

على الغلاف

عشرون عاماً مرّت على هجمات 11 أيلول. ومازال أثرها كامناً في بضع أوراق تصنّع «الإستبليشمنت» الأميركي طويلاً عن رفع السرّية عنها. إلى أن قرّرت إدارة جو بايدن، مع اقتراب الذكرى، بدء مراجعتها. التحديد ما يمكن كشفه منها. وفيما يتصرّف الجميع على أساس أن تلك الأوراق تتناول أدوار مسؤولين سعوديّين في تقديم مساعدة إلى انتحاريّين شاركوا في الهجمات، تتفاوت التقديرات في شأن ما سيخلّفه ذلك على مسار العلاقات السعودية - الأميركية، التي لم يَعُد خافياً أنها تعيش واحدة من أحلك مراحلها

# أوراق أيلول الأميركية: غمّ السعودية الدائم

**حسين إبراهيم**

لا تخطئ العين حقيقة أن إدارة جو بايدن ونظام سلمان بن عبد العزيز وابنه يتصرّفان كخصمَين. فالتفاعل المباشر مع الملك الذي تحدّث عنه بايدن في معرض إعلانه رفض اللقاء أو الاتصال بولي العهد محمد بن سلمان، لتورّطه في قتل جمال خاشقجي، اقتصر على اتصال هاتفي يتيم منذ تسلّمه الرئاسة، فيما الزيارات القليلة المتبادلة لا تتجاوز نواب الوزراء، بل إن وزيري الخارجية والدفاع، أنتوني بلينكن ولويد أوستن، اللذين زارا قطر قبل أيام، في غمرة الانسحاب من أفغانستان، لم يعرّجا على الرياض، وكأنها غير موجودة على الخارطة، علماً أنّ الأخير هو المكلّف من الإدارة بالتعامل المباشر مع ابن سلمان. وطَن القريبون من ولي العهد أنفسهم على أن واشنطن تتعامل معهم كأعداء، لا كأصدقاء، فضلاً عن أن يكونوا حلفاء، علماً أن غالبيتهم على لائحة العقوبات الأميركية بسبب دورهم في اغتيال خاشقجي. لكن ما هو في الزمان الآن، أكبر بكثير من قتل خاشقجي. فأيّ معلومة تُورّط السعودية في هجمات 11 أيلول، يمكن أن تكون لها تبعات خطيرة على المملكة. وينعكس الخوف والحرج اللذان يستبَهما اقتراب كشف الأوراق، غشوائية في السياسة الخارجية للرياض. فمثلاً، يقول حساب «ملفات كريستوف» على «تويتر»، والذي يُعتقد أن سعود القحطاني هو الذي يديره، لمناسبة رفع السرّية عن الوثائق، إن «الضعف السياسي والنزاع المؤسّسي الواضح، الذي ألقى بظلاله على القرارات الأميركية في السنوات الأخيرة، أحدث شرخاً في ثقة الحلفاء بما فيهم أوروبا، التي بدأت تبحث تشكيل تكتّل عسكري خارج مظلّة الناتو». ومع ذلك، لا تزال المملكة تُظهر مكابرة، عبر ترحيبها رسمياً بنشر الأوراق، كما جاء في بيان سفارتها في واشنطن التي تتولّاها ريما بنت بندر بن سلطان. وما يسوّقه «كريستوف» ينطبق على دونالد ترامب الذي كان هو مَن خلع عباءة «الإستبليشمنت»، ثمّ من خارجها، دعم صعود ابن سلمان إلى السلطة. المسألة الأهمّ الآن هي: هل يتعلّق الأمر بمجرّد ابتزاز مالي أو سياسي نمطي في علاقات قائمة أصلاً على الابتزاز، أم يتعدّاه إلى تغيير جوهري في أساس العلاقات؟ ما هو ثابت هو أن ابن سلمان خائف، بخلاف ما كانت عليه الحال أيام رئاسة جورج بوش الابن. حينها، كان السعوديون مطمئنّين إلى أن المملكة ما زالت حاجة أميركية، برفع السرّية عنها، يمثّل مقدّمة لتدفيع السعودية ثمناً غير مقدّر حتى الآن عن تلك الهجمات، خاصة بعد تسريب اسم الدبلوماسي السعودي، مساعد بن أحمد الجراح، المتورّط في تقديم مساعدة للانتحاريَين نواف الحازمي وخالد المحضار، عبر الداعية فهد الثميري (كان إماماً لمسجد الملك فهد في لوس أنجلس)، وعمر البيومي (يُشتبه في أنه عميل للاستخبارات السعودية)، اللذين قاما بمساعدة الانتحاريَين على استئجار شقة ودخول مدرسة تدريب على الطيران والحصول على أوراق ثبوتية قانونية، وقدّما لهما أموالاً.

> المعارضون السعوديون مختلفون في تقدير مدى تأثير كشف الأوراق

قبل غزو أفغانستان، ثمّ العراق، ضمن المشروع الذي هدف إلى تغيير الشرق الأوسط بكامله، وفشل فشلاً ذريعاً. ومع بدء العدّ العكسي لكشف الأوراق، يبدو أن ما يجري في واشنطن بين إدارة بايدن وأهالي الضحايا، الذين ما انفكّوا منذ سنين طويلة يطالبون حتى أسماء الضحايا، وما يهمّهم هو الحصول على تعويضات فقط. لكن السؤال بالنسبة لهؤلاء هو، لماذا الآن؟ فالأميركيون كانوا قد خفّفوا من حملتهم على ابن سلمان، ولم يكونوا في وارد التصعيد ضدّه، فهل طرأ ما يستدعي خلاف ذلك؟ وإذا جرى توريط السعودية، وفق هؤلاء، فسيشكّل الأمر ضربة للنظام السعودي، ولكنها لن تكون ضربة قاصمة، وستظلّ ضمن الإطار الذي يحافظ على حدّ من العلاقات بين الجانبين، خاصة أن عملية التدقيق في الصفحات لتحديد ما يمكن كشفه منها، وما لا يمكن كشفه، إن لم يكن لأسباب سعودية، فأميركية، قد تأخذ وقتاً.

أي معلومة تورّط السعودية في هجمات 11 أيلول، يمكن أن تكون لها تبعات خطيرة على المملكة (أ ف ب)

وبغضّ النظر عن وجهَتَي النظر المتعارضتَين حدّ التناقض، فالمؤكّد أن المعلومات المتضمّنة في الصفحات، أكثر خطورة وحساسية من المعلومات التي تمّ كشفها، وإلّا لما حُجبت كلّ هذا الوقت. وتفيد التقديرات بأن التداعيات التي ستطال السعودية من جرّاء كشف الأوراق المستورة، سوف تتراوح بين تكبيدها مبالغ مالية طائلة، وبين إلحاق أضرار إضافية بالعلاقات مع المملكة ونظامها الحاكم حالياً تحديداً، ذلك أن عائلات ما يقرب من 2500 من القتلى وأكثر من 20 ألف مصاب، فضلاً عن الشركات المتضرّرة وخاصة شركات التأمين، رفعوا دعاوى منذ عام 2003 يتّهمون فيها حكومة الرياض بالمشاركة في الهجمات. واكتسبت هذه الدعاوى زخماً كبيراً في 2016 عندما أقرّ الكونغرس «قانون جاستا» الذي يتيح للأميركيّين مقاضاة حكومات أجنبية بتهمة «الإرهاب». لكن أكثر ما يُقلق العائلات هو احتمال التوصّل إلى صفقة ما، من خارج السياق، تستمرّ بموجبها الإدارة الداخلية. وإذ تكثر في تركيا شركات استطلاع الرأي المتعدّدة المشارب والأهواء، فإن ما يميّز استطلاعاتها في الأشهر الأخيرة، أنها تكاد تُجمع على تراجع شعبيّة حزب «العدالة والتنمية» وشريكه حزب «الحركة القومية» (بزعامة دولت باهتشلي)، الذي لم يكن للرئيس رجب طيب إردوغان ليتمكّن من الفوز في أخر انتخابات رئاسيّة ونيابية عام 2018، من دون التحالف معه. وتبيّن أحدث استطلاعات الرأي تراجع «العدالة والتنمية» إلى مستويات قياسية. ومن بينها، مثلاً، استطلاع أجرته شركة «يون أويليم الاجتماعية» على عيّنة من 3040 شخصاً في 27 محافظة، ليظهر، بعد توزيع أصوات المترّددين، حصول الحزب على 31,5% من الأصوات، بليه حزب «الشعب الجمهوري» بـ27,1%، ومن ثمّ «الحزب الجيّد» - شريك «الشعب الجمهوري» - بـ14,7%، و«الشعوب الديمقراطي» الكردي بـ10,3%، فيما بقي «الحركة القومية» تحت عتبة الـ10% اللّازمة للنجاح، حاصداً 8,2% من الأصوات فقط. بدورهما، حصل حزبا أحمد داوود أوغلو وعلي باباجان مجتمعَين على 2,3% فقط، وذهبت نسبة 1,1% لحزب «السعادة». وألّفت أن نسبة مَن لا يريدون أبداً إعطاء أصواتهم لإردوغان بلغت 56,9%، في مقابل 32,6% يعتزمون التصويت للرئيس الحالي. ولدى الإجابة على سؤال: لمَن سيعطي المواطن صوته في الانتخابات الرئاسية؟ اختارت نسبة 50,4% مرشّح المعارضة، و34,7% إردوغان. وعلى هذا المنوال، جاءت نتائج استطلاعات معظم الشركات، لتدق ناقوس الخطر في جبهة إردوغان ـ باهتشلي اللّذين أجتمعا، قبل أيّام، للتباحث في التطورات الانتخابية، فيما حسم هذا الأخير مسألة خفض حاجز الـ10% إلى 7% لكونه سيؤمّن له ولشريكه عدداً أكبر من المقاعد البرلمانية، قد يصل إلى 400 مقعد من أصل 650، على رغم أنه قد يحصل، كتحالف مع «العدالة والتنمية»، على نسبة أصوات أقلّ من عدد النواب الذي سيحصل عليه، أي أنّه إذا كان سيحصل افتراضاً على نسبة 51% من الأصوات، فسيحصل عملياً على 65% من المقاعد. لكن «العدالة والتنمية» قد يرى في الاقتراح المتقدّم مخاطرة كبيرة. إذ إنه في حال استمرّ نزيف التأييد له، فقد يرى نفسه في الموقع الثاني في دوائر كثيرة، فلا تصيب توقّعات حليفه. لذا، يقارب الحزب الحاكم بحذر شديد نظام الدوائر الضيّقة، بما لا يؤذي أيضاً تحالفه مع «الحركة القومية».

وإذا كانت نتائج العديد من الاستطلاعات تواجَه بالشكّ من جانب حزب «العدالة والتنمية»، فقد جذب الكاتب المقرّب من الحزب، محمد أجيد، انتباه العديد من المتابعين، بعدما كشف عن استطلاع رأي أجرته شركة «كونسينسيس»، في أواخر آب الماضي، على عيّنة من 1500 شخص (نُشرت نتائجه صحيفة «يني شفق» المؤيدة لإردوغان). وفي الاستطلاع، أيّد 57,4% من المستطلَعة آراؤهم إجراء الانتخابات النيابية والرئاسية في موعدهما بعد سنتَين، فيما دعا 42,6% إلى إجراء انتخابات مبكرة. ورجّح 69,8% عدم إجراء انتخابات مبكرة، مقابل 30,2% قالوا بخلاف ذلك. وهذا يعني أن قسماً كبيراً من المعارضة، لا يقلّ عن 20%، لا يريد انتخابات مبكرة، ويعني أيضاً أن الشعب لا يزال يعطي السلطة القائمة فرصة لإيجاد الحلول. لكن السؤال المثير الذي ورد في الاستطلاع، ونُشر في صحيفة حزب السلطة، هو عمّا إذا كانت تركيا تُدار بصورة جيّدة أم لا؟ وكانت النتائج أن 29,5% يرون أن البلاد تُدار بصورة جيّدة، فيما ترى نسبة 30,3% أنها تُدار بصورة سيّئة. وعمّا إذا كان يجب خفض نسبة الـ10% اللّازمة لدخول البرلمان، يرى 53,6% ضرورة خفض الحاجز، فيما يؤيّد بقاء هذا الشرط 56,4%، وهي نسبة، برأي محمد أجيد، ليست قليلة، أي أن الصورة السلبية عن الحاجز ليست بهذا القدر السيّئ الذي يحاول البعض إظهارها. ويظهر من الاستطلاع أن اهتمامات المواطن داخلية أكثر منها خارجية، إذ يهمّ المواطنَين من القضايا: البطالة والتضخم وغياب العدالة في توزيع الثروة. ويرى الكاتب أنه في حال عالجت السلطة بنجاح هذه القضايا خلال العام المقبل، فإنها ستذهب إلى الانتخابات في موعدها عام 2023، وهي مرتاحة للنتائج.

# يوم قال بريجينسكي للمجاهدين «إنّ الله معكم»

**حسام عبد الكريم ***

منذ هجمات 11 أيلول/ سبتمبر وما بعدها تقدّمت أميركا ثوب الضحيّة الأولى للإرهاب في العالم. أعاد إعلامها الجبّار المتحكّم صياغة العالم وما فيه على أساس ثنائيّة الأخيار/ الأشرار وإمّا معنا أو ضدّنا، على اعتبار أن الإرهاب والإرهابيّين شرّ مطلق قبال الأميركي الخيّر المكافح للإرهاب بلا هوادة. شنّت أميركا حروبها وغزت دولاً وشعوباً تحت تلك الأفئدة.

ولكن هل أن أميركا اليوم هي المكافحُ الصّلب للإرهاب والإرهابيّين في العالم؟ صحيحٌ أنها تقوم بشنّ غاراتٍ متفرّقة على هدفٍ لداعش هنا أو القاعدة هناك، كلّ شهر أو شهرين، ولكن هل ذلك يعني أنها مكافحٌ مبدئيٌ للإرهاب؟ التاريخ الحديث يُجيبنا ويخبرنا: كلّا. لا يحقّ لأميركا الادّعاء بأنها مكافح الإرهاب الأول في العالم كما تحاول أن تروّج لنفسها اليوم. أميركا لم تكن يوماً مبدئيّة في تعاملها مع الإرهاب، بل كانت دوماً تتعامل مع الإرهاب والإرهابيين من منطلق نفعيٍّ براغماتيٍّ انتهازيّ، تستغلّه وتستعمله وتستفيد منه حين يكون في صالحها وضدّ أعدائها، وتحاربه حين يضرّ بها. الإرهاب بالنسبة لأميركا، كما كل شيء، مسألة «بيزنس» وتجارة، وحسابات ربح وخسارة.

ولا بدّ في هذا المقام من تذكّر زبغنيو بريجينسكي. ذلك البولّندي الذي وُلد ونشأ في فترة صعود النّازية في ألمانيا والحرب العالمية الثانية التي أسفرت في نهاية المطاف عن سقوط بولّندا، بلده، تحت هيمنة ونفوذ الاتحاد السوفياتي. حياته المبكّرة تلك ولّدت في كيانه كرهاً عميقاً للشيوعية وللاتحاد السوفياتي ولروسيا، ظهر في كلّ مراحل مسيرته الأكاديميّة والمهنيّة منذ بداية استقراره في أميركا إلى أن وصل إلى منصب مستشار الأمن القومي في عهد الرئيس جيمي كارتر. وبتلك الخلفيّة تولّى بريجينسكي ملف أفغانستان بعد الغزو السوفياتي عام 1979، ليصبح هو فعلياً المؤسّس والأب الرّوحي والمشرف على إطلاق برنامج «الجهاد» الإسلامي في أفغانستان. والكلام عن البرنامج الأميركي لصناعة ورعاية «المجاهدين» في أفغانستان يطول ولا تسعه مقالة أو اثنتين فلن ندخل بتفاصيله هنا ولكننا سوف نشير إلى نقطة في مساره تصلح أن تكون «الحبكة» في مسرحيةٍ من نوع الكوميديا السوداء؛ وذلك عندما جال بريجينسكي على مواقع «المجاهدين» الأفغان في منطقة وادي خيبر والقى فيهم خطبة حماسيّة اختتمها بقوله «إن الله معكم» وسط هتافات الله أكبر التي أطلقها الأفغان المتحمّسون. والفيديو موجود على اليوتيوب

> الإرهاب بالنسبة إلى أميركا، كما كل شيء، مسألة «بيزنس» وتجارة، وحسابات ربح وخسارة

(ويظهر فيه إلى جانب بريجينسكي وارين كريستوفر الذي سيصبح وزير خارجية بيل كلينتون).

ومع هزيمة كارتر الانتخابية سنة 1980 انتهى دور بريجينسكي المباشر في أفغانستان، ولكن الملف بأكمله انتقل إلى مهووس آخر لا يقلّ عنه حماساً «للمجاهدين»، إنه رونالد ريغان الرئيس الأميركي اليميني الموالي بالحروب (والذي رغم جهله و ضالة مستواه الثقافي والفكري يعتبره الأميركيون من أعظم رؤسائهم قدراً). فهو الذي سخّر إمكانيّات أميركا الهائلة العسكرية والاستخباراتيّة والمالية لدعم كافة أنواع «المجاهدين» في أفغانستان بهدف إلحاق الهزيمة بالاتحاد السوفياتي وكسر شوكته هناك. وقد بلغ حماس ريغان لـ «المجاهدين» ذروته حين استقبل قياداتهم في البيت الأبيض عدة مرّات ما بين سنة 1983 و 1987 وفرش لهم السّجاد الأحمر بل وأطلق عبارات وأوصاف رومانسية بحقهم من قبيل «مقاتلون من أجل الحرية». وبلغ به الأمر أن بخّصص إطلاق مكّوك الفضاء الأميركي «تشالنجر» باسم «للمجاهدين» في أفغانستان.

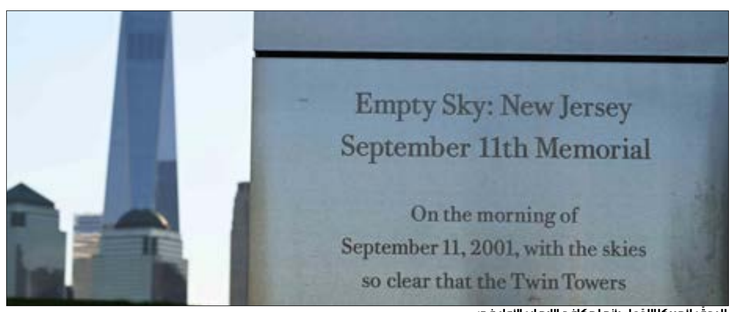

لا يحقّ للأميركا الأذعاء بأنها مكافح الإرهاب الأول في العالم كما تحاول أن تروّج لنفسها اليوم (أ ف ب)

وسنضع الرابط له في نهاية المقال

ولأن الأرشيف لا يمكن محوه، فستبقى لقاءات بريجينسكي وريغان مع المجاهدين الأفغان شاهداً على انتهازيّة أميركا ولا أخلاقيّتها ودورها في صناعة الإرهاب وتفريخ الإرهابيين الذين ظنّت أن بإمكانها السيطرة عليهم والتلاعب بهم كما تشاء. وفي عالم البراغماتية الأميركية عديمة المبادئ لا بأس أبداً أن يصبح يونس خالص وبرهان الدين رباني وحقاني وبقية رفاقهم عند ريغان «مقاتلين من أجل الحرية» وهم الذين فرّخوا بعد قليل طالبان وبن لادن والقاعدة... وصولاً إلى داعش التي تشيطنها أميركا اليوم.

في ذكرى هجمات 11 سبتمبر، على أميركا أن تتذكّر رجالها هي، الذين جمّعوا وموّلوا ودرّبوا وسلّحوا ونظّموا «المجاهدين» في أفغانستان. على أميركا أن تتذكر رونالد ريغان ووليام كيسي وزبنغيو بريجينسكي، قبل أن تتذكّر أسماء ضحايا أبراج نيويورك الثلاثة الآف.

*كاتب و باحث من الأردن

تركيا

# نزيف الشعبية مستمرّ: إردوغان نحو تعديل النظام الانتخابي؟

> مدفوعَين بنتائج استطلاعات مغلقة تُظهر تراجع شعبيّتهما إلى مستويات قياسية، يبحث حزبا «العدالة والتنمية» و«الحركة القومية» تعديل النظام الانتخابي، بما يتيح لهما تحسين أدائهما في الانتخابات النيابية المرتقبة بعد عامين. لكن الرئيس رجب طيب إردوغان لا يزال يتعامل بحذر شديد مع مقترح شريكه، كونه يستبطن مخاطرة كبيرة قد لا تفضي إلى التوقّعات المأمولة من قِبَل دولت باهتشلي

**محمد نور الدين**

على رغم القضايا الخارجية الساخنة التي تواجه تركيا، مثل الوضع في أفغانستان، ومحاولات تطبيع علاقاتها مع كلّ من مصر والإمارات والسعودية، إلى جانب تبادل الانتقادات مع سوريا، إلّا أن الرأي العام التركي يُعير اهتماماً أكبر بكثير للقضايا الداخلية، ولاسيما الاقتصادية التي تطال دخله ومعيشته، وتالياً شؤونه السياسية الداخلية. وإذ تكثر في تركيا شركات استطلاع الرأي المتعدّدة المشارب والأهواء، فإن ما يميّز استطلاعاتها في الأشهر الأخيرة، أنها تكاد تُجمع على تراجع شعبيّة حزب «العدالة والتنمية» وشريكه حزب «الحركة القومية» (بزعامة دولت باهتشلي)، الذي لم يكن للرئيس رجب طيب إردوغان ليتمكّن من الفوز في آخر انتخابات رئاسيّة ونيابية عام 2018، من دون التحالف معه. وتبيّن أحدث استطلاعات الرأي تراجع «العدالة والتنمية» إلى مستويات قياسية. ومن بينها، مثلاً، استطلاع أجرته شركة «يون أويليم الاجتماعية» على عيّنة من 3040 شخصاً في 27 محافظة، ليظهر، بعد توزيع أصوات المترّددين، حصول الحزب على 31,5% من الأصوات، بليه حزب «الشعب الجمهوري» بـ27,1%، ومن ثمّ «الحزب الجيّد» - شريك «الشعب الجمهوري» - بـ14,7%، و«الشعوب الديمقراطي» الكردي بـ10,3%، فيما بقي «الحركة القومية» تحت عتبة الـ10% اللّازمة للنجاح، حاصداً 8,2% من الأصوات فقط. بدورهما، حصل حزبا أحمد داوود أوغلو وعلي باباجان مجتمعَين على 2,3% فقط، وذهبت نسبة 1,1% لحزب «السعادة». وألّفت أن نسبة مَن لا يريدون أبداً إعطاء أصواتهم لإردوغان بلغت 56,9%، في مقابل 32,6% يعتزمون التصويت للرئيس الحالي. ولدى الإجابة على سؤال: لمَن سيعطي المواطن صوته في الانتخابات الرئاسية؟ اختارت نسبة 50,4% مرشّح المعارضة، و34,7% إردوغان. وعلى هذا المنوال، جاءت نتائج استطلاعات معظم الشركات، لتدق ناقوس الخطر في جبهة إردوغان ـ باهتشلي اللّذين أجتمعا، قبل أيّام، للتباحث في التطورات الانتخابية، فيما حسم هذا الأخير مسألة خفض حاجز الـ10% إلى 7% لكونه سيؤمّن له ولشريكه عدداً أكبر من المقاعد البرلمانية، قد يصل إلى 400 مقعد من أصل 650، على رغم أنه قد يحصل، كتحالف مع «العدالة والتنمية»، على نسبة أصوات أقلّ من عدد النواب الذي سيحصل عليه، أي أنّه إذا كان سيحصل افتراضاً على نسبة 51% من الأصوات، فسيحصل عملياً على 65% من المقاعد. لكن «العدالة والتنمية» قد يرى في الاقتراح المتقدّم مخاطرة كبيرة. إذ إنه في حال استمرّ نزيف التأييد له، فقد يرى نفسه في الموقع الثاني في دوائر كثيرة، فلا تصيب توقّعات حليفه. لذا، يقارب الحزب الحاكم بحذر شديد نظام الدوائر الضيّقة، بما لا يؤذي أيضاً تحالفه مع «الحركة القومية».

وإذا كانت نتائج العديد من الاستطلاعات تواجَه بالشكّ من جانب حزب «العدالة والتنمية»، فقد جذب الكاتب المقرّب من الحزب، محمد أجيد، انتباه العديد من المتابعين، بعدما كشف عن استطلاع رأي أجرته شركة «كونسينسيس»، في أواخر آب الماضي، على عيّنة من 1500 شخص (نُشرت نتائجه صحيفة «يني شفق» المؤيدة لإردوغان). وفي الاستطلاع، أيّد 57,4% من المستطلَعة آراؤهم إجراء الانتخابات النيابية والرئاسية في موعدهما بعد سنتَين، فيما دعا 42,6% إلى إجراء انتخابات مبكرة. ورجّح 69,8% عدم إجراء انتخابات مبكرة، مقابل 30,2% قالوا بخلاف ذلك. وهذا يعني أن قسماً كبيراً من المعارضة، لا يقلّ عن 20%، لا يريد انتخابات مبكرة، ويعني أيضاً أن الشعب لا يزال يعطي السلطة القائمة فرصة لإيجاد الحلول. لكن السؤال المثير الذي ورد في الاستطلاع، ونُشر في صحيفة حزب السلطة، هو عمّا إذا كانت تركيا تُدار بصورة جيّدة أم لا؟ وكانت النتائج أن 29,5% يرون أن البلاد تُدار بصورة جيّدة، فيما ترى نسبة 30,3% أنها تُدار بصورة سيّئة. وعمّا إذا كان يجب خفض نسبة الـ10% اللّازمة لدخول البرلمان، يرى 53,6% ضرورة خفض الحاجز، فيما يؤيّد بقاء هذا الشرط 56,4%، وهي نسبة، برأي محمد أجيد، ليست قليلة، أي أن الصورة السلبية عن الحاجز ليست بهذا القدر السيّئ الذي يحاول البعض إظهارها. ويظهر من الاستطلاع أن اهتمامات المواطن داخلية أكثر منها خارجية، إذ يهمّ المواطنَين من القضايا: البطالة والتضخم وغياب العدالة في توزيع الثروة. ويرى الكاتب أنه في حال عالجت السلطة بنجاح هذه القضايا خلال العام المقبل، فإنها ستذهب إلى الانتخابات في موعدها عام 2023، وهي مرتاحة للنتائج.

> يسعى حزب «الحركة القومية» إلى تعديل النظام الانتخابي برمّته ليتكيّف مع مصلحته

خصوصاً على «الحركة القومية» الساعي إلى تعديل النظام الانتخابي برمّته ليتكيّف مع مصلحته، ومن ذلك إلغاء الدوائر الموسّعة واعتماد دوائر ضيّقة أو أضيق من الحالية، ولكن على قاعدة الأكثرية وليس النسبية المعمول بها حالياً. وإذا ما حصل هذا، فستكون المرّة الأولى، منذ عام 1980، التي تتغيّر فيها نسبة النجاح المطلوبة، كما شكل الدوائر الانتخابية. وينبع إصرار «الحركة القومية» على هذا النمط الانتخابي الجديد، من تبنّي احدث استطلاعات الرأي تراجع «العدالة والتنمية» إلى مستويات قياسية (أ ف ب)

اليمن

# بريطانيا في المهرة: وكر تجسّس

في أقلّ من شهر من تاريخ وصولها، انكشفت المهمّة السرّية للقوّات البريطانية في محافظة المهرة اليمنية، حيث ثبُت أن مهمّتها تتعدّى مساندة القوات السعودية أو تقديم الدعم اللوجيستي لها، لتصل إلى حدّ التجسّس على الاتصالات اليمنية، بعد فشل التحالف السعودي - الإماراتي وحكومة عبد ربه منصور هادي، طيلة الأعوام الماضية، في استغلال قطاع الاتصالات لتتبّع تحرّكات قيادات «أنصار الله» واستهدافها

صنعاء ـ **رشيد الحداد**

بعد أسابيع على وصول القوات البريطانية إلى محافظة المهرة، بدعوى ملاحقة مهاجمي سفينة «ميرسر ستريت» الإسرائيلية قبالة سواحل عُمان في 29 تموز الماضي، انكشف عكوف هذه القوات على إنشاء خلايا استخباراتية في المحافظة، بعد سلسلة استفزازات بدأت بإغلاق عدد من شواطئ المهرة، وتحويلها إلى مناطق عسكرية. وأفادت مصادر محلية، «الأخبار»، بأن «القوات البريطانية منعت الصيادين التقليديين من أبناء المهرة من ممارسة أعمالهم في المياه المحلية والإقليمية في شواطئ نشطون وقشن وسيحوت خلال الأسابيع الماضية من دون مبرّر، ما أثار موجة سخط شعبي، وعزّز موقف لجنة اعتصام المهرة التي قادت احتجاجات مناهضة للوجود البريطاني والسعودي في المحافظة». وبعدما كشف وكيل محافظة المهرة السابق، علي سالم الحريزي، في مؤتمر صحافي عُقد

> **أنشأت بريطانيا غرفة في مطار الغيضة لإدارة عمليات التجسس عبر الكابل البحري قبالة مدينة الغيضة**

مطلع الشهر الجاري، أن القوات البريطانية «تُدرّب عناصر في المهرة على التجسّس»، أكّدت مصادر مقرّبة من حركة «أنصار الله» في صنعاء، لـ«الأخبار»، امتلاك الحركة ما قالت إنّها «معلومات دقيقة»، تُفيد بـ«إدارة القوّات البريطانية في مطار الغيضة غرفة تجسّس تمارس من خلالها عمليات التجسّس على الاتصالات اليمنية من عدد من السفن عبر الكابل البحري قبالة مدينة الغيضة». وأشارت المصادر إلى أن «البريطانيّين استحصلوا على بيانات شركة الاتصالات اليمنيّة في نشاطٍ غير قانوني وغير مشروع»، معتبرة أن «هذا النشاط يأتي في سياق خدمة مشاريع التحالف السعودي الإماراتي واحتلال اليمن». ويأتي هذا الحديث بعد أيام من تأكيد عضو وفد صنعاء المفاوض، عبد الملك العجري، قيام بريطانيا بـ«ممارسة أعمال تجسّسية» على شبكة الاتصالات اليمنية، وبعض الكابلات البحرية، خدمةً لـ«أهدافها الاستعمارية».

وفي تفاصيل ما يجري في المهرة، علمت «الأخبار»، من أكثر من مصدر، أن «الأعمال البريطانية المتمثّلة في التنصّت على الاتصالات اليمنية قامت بها وحدة إلكترونية بريطانية متخصّصة بمراقبة الاتصالات، قَدِمت في الثامن من الشهر الماضي إلى المهرة، بناءً على طلب سعودي، وطلبت بيانات من وزارة الاتصالات في حكومة الرئيس المنتهية ولايته، عبد ربه منصور هادي». ووفقاً للمعلومات، فإن «خدمات الإنترنت انقطعت في عدد من المحافظات اليمنية أربع مرّات في أقلّ من أسبوعين أواخر الشهر الماضي، فيما لم تعلن فروع مؤسسة الاتصالات اليمنية في محافظات المهرة وحضرموت وشبوة ومأرب أسباب الانقطاع»، إلّا أن مصادر مطّلعة في فرع الاتصالات في محافظة حضرموت كانت قد رجّحت أن يكون سبب الانقطاع في سواحل منطقتَي سيحوت وقشن الخاضعة للسيطرة السعودية والواقعة على البحر العربي، تعرّض كابلات الألياف الضوئية لأعمال تخريبية. وعلى غير العادة، لم تعلن فروع الاتصالات في أيّ من المحافظات الخاضعة لسيطرة «التحالف»، وتحديداً في المهرة وحضرموت، موعد إصلاح كابلات الألياف الضوئية، مثلما يجري عادة في انقطاعات مماثلة، وهو ما أثار شكوك الكثير من المراقبين والفنّيين. وبكشف مصدر في محافظة المهرة، بدوره، لـ«الأخبار» أن «باخرة بريطانية رسَت لعدّة أيام مطلع الشهر الجاري، بالقرب من خطّ الكابل البحري الخاص بالإنترنت، على بُعد 20 ميلاً من شاطئ مدينة قشن»، مضيفاً أن «إدارة أمن مديرية قشن رفعت بلاغاً إلى إدارة أمن محافظة المهرة (في الغيضة) الخاضعة لسيطرة موالين للرياض، وطالبت بتوضيح في شأن مهام الباخرة بعد أن تمّ التأكّد من هويتها البريطانية، كونها توقّفت في مكان لم يسبق لسفن أخرى أن توقّفت فيه»، لافتاً إلى أنه «لم يأتِ أيّ توضيح من الجهات المعنيّة».

أغلقت القوات البريطانية عددا من شواطئ المهرة وحوّلتها إلى مناطق عسكرية (من الويب)

إزاء ذلك، اتّهم ناشطون مناهضون للوجود الأجنبي في المهرة، القوات السعودية والبريطانية، بـ«الوقوف وراء قطع الإنترنت بهدف محاصرة السخط الشعبي المتصاعد ضدّ التدخّل العسكري البريطاني الجديد»، محذّرين «من استخدام الاتصالات في التجسّس على معارضي الوجود العسكري البريطاني والسعودي في جنوبي البلاد، وتتبّع تحرّكات قادة الحراك الشعبي في المهرة». ويأتي الانتهاك البريطاني لخصوصية اليمنيّين من خلال التنصّت على الاتصالات، في إطار التخادم بين بريطانيا و«التحالف»، بعد فشل الرياض وحكومة هادي خلال السنوات الماضية في تحويل الاتصالات اليمنية من قطاع خدمي إلى أداة من أدوات المعركة، كون سلطات صنعاء تتحكّم بالصفر الدولي وتدير الاتصالات بعيداً عن الصراع. ويسهم قطاع الاتصالات بحوالي 7% من الناتج المحلّي الإجمالي، وبلغت خسائره الأوّلية نتيجة استهداف وتدمير 248 برجاً تابعاً لقطاع الاتصالات و1652 محطة اتّصال و46 منشأة «سنترالات» وألف و458 معدّات تقوية و32 كبينة اتصالات، خلال السنوات الماضية، أكثر من 4,1 مليار دولار، فضلاً عن احتجاز السعودية 300 مليون دولار كعائدات للاتصالات اليمنية، ومنع إدخال الأجهزة الخاصة بتطوير أداء القطاع، ومصادرة كابلات الإنترنت البحرية، وتدمير كابلات الألياف الضوئية في حرض وعلب والبقع، وإيقاف محطة الوديعة الحدودية مع المملكة عن العمل، بالإضافة إلى إيقاف محطات الألياف الضوئية في المنطقة الشرقية، ليتبقّى مزوّد وحيد للخدمة غربي اليمن عن طريق الكابل «فالكون» عبر المهرة.

ليبيا

## تفاهم الدبيبة - صالح يقصي «ملتقى الحوار»
# قانون انتخابي جديد بتزكية أممية

> من دون أن ينتظر ما ستؤول إليه نقاشات «ملتقى الحوار السياسي»، اعتمد البرلمان الليبي، بعد تفاهمات بين رئيسه ورئيس الحكومة، قانون انتخاب الرئيس المقبل، بما من شأنه إزاحة عقبة رئيسة أمام إجراء الانتخابات في موعدها في 24 كانون الأول المقبل، خصوصاً في ظلّ مسارعة الأمم المتحدة إلى تلقّف القانون، على رغم ما يعتريه من عُوار

طرابلس ـ **الأخبار**

طوى رئيس الحكومة الليبيّة، عبد الحميد الدبيبة، مؤقّتاً، صفحة الخلافات مع رئيس البرلمان، عقيلة صالح، الساعي للوصول إلى منصب رئاسة الجمهورية، مستفيداً من قدرته على الترشّح باعتباره ليس طرفاً في السلطة الانتقالية التي جرى اختيارها بموجب مخرجات الحوارات السياسية. وتضمّنت تفاهمات الدبيبة ـ صالح، التي أعقبت قبول الأوّل بالمثول أمام البرلمان لاستجوابه، عدم وضع «فيتو» على خوض الثاني السباق الرئاسي، أو اعتبار ذلك عائقاً أمام إجراء الانتخابات في موعدها. وبموجب تلك التفاهمات، اعتمد البرلمان قانون انتخاب الرئيس، ليسارع المبعوث الأممي إلى ليبيا، يان كوبيش، إلى تصديقه وإرساله إلى مجلس الأمن باعتباره قانوناً نهائياً ستُجرى على أساسه الرئاسيات بالتزامن مع البرلمانيات يوم 24 كانون الأول المقبل، علماً أنه سيحدّد، إلى جانب قانون مهمّ آخر، ملامح النظام السياسي للدولة الجديدة. وأثارت خطوة كوبيش اعتراض «المجلس الأعلى للدولة»، باعتبارها متعارضة مع ما جرى التوافق عليه مسبقاً، من ضرورة أن يكون إصدار القوانين بالتنسيق بين «المجلس الأعلى» والبرلمان.

وحدّد القانون، الذي تضمّن 77 بنداً، بشكل واضح، تعريف النّاخب، وصلاحيات الرئيس واختصاصاته والنيّة انتخابه، بالإضافة إلى شروط ترشّحه، والتي في مقدّمتها أن يكون مسلماً ليبيّ الأب، وأن لا يقلّ عمره عن 40 سنة مع عدم صدور حكم نهائي في حقّه من جناية أو جريمة مخلّة بالشرف أو الأمانة، وهو نص سيعيق ترشّح نجل الرئيس الرّاحل معمر القذافي، سيف الإسلام، الذي بدأ التحرّك أخيراً في الداخل والخارج، فيما يبدو أنه يحظى بترحيب جزائري غير معلن. ويسمح القانون للعسكريين بالترشّح للرئاسة، شرط توقّفهم عن ممارسة مهام عملهم قبل موعد الانتخابات بثلاثة أشهر، مع إتاحة إمكانية العودة أمامهم في حال لم ينجحوا في الانتخابات، وهو ما قد يولّد مشكلة متعدّدة الأبعاد، بالنظر إلى غياب الآليات المنظّمة لقيام هؤلاء بأعمالهم خلال الفترة الفاصلة بين الترشّح وانتهاء الانتخابات. واشترط القانون من أجل الفوز، حصول المرشّح على 50%+1 من إجمالي الأصوات الصّحيحة في الجولة الأولى، على أن يُخوض الفائزان الأوّلان الجولة الثانية. كما حدّد التقسيم الإقليمي للمناصب بأن يكون نائب رئيس الدولة ورئيس الوزراء من إقليم غير الذي يتحدّر منه الرئيس، وأن يكون كلّ منهما أيضاً من إقليم مختلف، مع أحقّية الرئيس في اختيار رئيس الوزراء وتكليفه بتشكيل الحكومة وإقالته، إلى جانب القيام بمهامّ القائد الأعلى للجيش الليبي، فيما تُشترط موافقة مجلس النواب على تعيين رئيس جهاز المخابرات وإقالته.

> **حدّد القانون الذي تضمّن 77 بنداً صلاحيات الرئيس واختصاصاته وآلية انتخابه**

ويأتي إقرار قانون انتخاب الرئيس بعدما عجز «ملتقى الحوار السياسي» عن تمرير القاعدة الدستورية لإجراء الانتخابات، بينما يسعى صالح الآن إلى إجراء الانتخابات البرلمانية على أساس القانون الحالي نفسه، مع احتمال إجراء تعديلات عليه قبل نهاية الشهر الجاري، بما من شأنه إقصاء «الملتقى» نهائياً. وفي وقت يواصل فيه الدبيبة ووزيرة خارجيته، نجلاء المنقوش، توفير مستلزمات مفوضية الانتخابات، سواءً لناحية الدّعم المالي أو التسهيلات اللوجيستية، تستمرّ عملية الترتيب للمراقبة الدولية، والتي ستكون من خلال منظّمات حقوقية دولية وأخرى إقليمية ومتابعة أممية. وبلغ عدد المسجّلين للتصويت أكثر من 2,8 مليون ناخب، في ظلّ وجود توجّه للسماح للليبيين المقيمين في الخارج بالتصويت عبر السفارات في مختلف دول العالم. وانسحبت الحلحلة السياسية على مستوى الوضع المالي، حيث استُؤنف السّعي إلى توحيد مصرف ليبيا المركزي في أسرع وقت ممكن، من أجل تجنّب إجراء تعديلات جوهرية في سعر الصرف.

أمّا الجانب الأمني فيبقى الأصعب على الإطلاق، لاسيما في ظلّ غياب الرؤية الواضحة في شأن توحيد المؤسسة العسكرية، وهو ما تجري الآن مناقشته في اللجنة العسكرية المشتركة (5+5)، والتي يُفترض أن تضع خطّة عمل من أجل انسحاب متسلسل ومرحلي يمكن التحقّق منه على أرض الواقع، على أن يبدأ بانسحاب المرتزقة والمقاتلين الأجانب، والذي تلعب وزيرة الخارجية، نجلاء المنقوش، دوراً في التنسيق مع بعض الأطراف الدّولية من أجل إتمامه قريباً. ومن المقرّر أن تستضيف العاصمة المصرية القاهرة اجتماعاً لدول الجوار الليبي من أجل مناقشة التفاصيل الخاصّة بإجلاء المرتزقة بشكل منظّم، بما يستبعد توليد مشاكل أمنية للدول المعنيّة، فيما تُتوقّع إعادة فتح الحدود بين تونس وليبيا خلال الأيام المقبلة، وفق ما اتُّفق عليه خلال زيارة الدبيبة إلى تونس.

تقرير

# السقوط دفعة واحدة: «تأثير الدومينو» يلحق «إخوان المغرب»

دفعة واحدة. انهار حزب «الإخوان المسلمين» في المغرب، «العدالة والتنمية»، في سياق تراجع كبير للحركة في حصونها، وخصوصاً في تونس. مهد «الربيع العربي»، تراجعٌ يبدو أشبه بـ«تأثير الدومينو»، بعدما أظهرت الجماعة التي بنت رصيدها على العمل الدّعوي، فشلاً في إدارة شؤون الحكم في البلدان التي وصلت فيها إلى السلطة

منذ قبوله تولّي السلطة في المغرب، أو على الأصحّ الجزء المسموح له بتولّيه من هذه السلطة، نظراً للصلاحيات الواسعة للملك محمد السادس، حكم حزب «العدالة والتنمية» على نفسه بالفشل سريعاً، توقّف الحزب عن المطالبة بالإصلاح الرئيسي المتمثّل بتقليص سلطات الملك من جهة، وقَبِل بسياسات الأخير في مجال التطبيع مع إسرائيل، وشارك فيها، من جهة أخرى. وهاتان أكبر وصفتين للإخفاق لحزب يقوم على أساس ديني، ويتكيء جزئياً على وهْب مريديه مكاناً في السماء، تعويضاً عن عدم القدرة على تحسين حياتهم على الأرض.

لكن ذلك يصلح ما دام الحزب خارج السلطة، أمّا داخلها فالأمر مختلف. ولعلّ هذا هو ما يفسّر التراجع الكارثي لـ«العدالة والتنمية» في الانتخابات التي جرت الأربعاء الماضي، من المركز الأول في مجلس النواب، إلى الثامن والأخير بين الأحزاب المشاركة، في ما ردّه مراقبون إلى فشله في إدارة البلاد وفق برنامج يستجيب للمتطلّبات الحياتية والمطالب السياسية للمواطنين، بعد عشر سنوات من تولّيه الحكم. على أنّ ذلك التقهقر ليس حالةً عابرة، ولا يقتصر على المغرب، وإنّما أصبح مساراً واضحاً ومستمرّاً، ولاسيما في حصون «الإخوان» في تركيا وتونس، مما يعني أن الحزب الذي استفاد من الصعود «الإخواني» في مطلع العقد الماضي كي يصل إلى السلطة، يدفع، في جزء من خسارته اليوم، ثمناً للتراجع العابر للحدود للجماعة.

لم يعد الخطاب الدعوي الذي يلعب على العواطف والمشاعر وحده ينفع في اجتذاب الناس (أ ف ب)

لم يستطع الحزب، خلال سنيّ حكمه، تحقيق أيّ إصلاحات جذرية أو خلخلة منظومات الفساد المعشعشة في الإدارة، فيما تتّهمه شرائح من موظّفي القطاع الحكومي، «العدالة والتنمية»، بإساءة التصرّف، نظراً إلى الإجراءات التي أقدم عليها، ومنها رفع الدعم عن المحروقات، ورفع سنّ التقاعد، وإقرار نظام للتعاقد مع المدرسين، بدلاً من إدماجهم في الوظيفة الحكومية، ما انعكس على أجور الموظّفين وتقاعدهم وقدرتهم الشرائية، بل حتى استقرارهم الوظيفي. لذا، لم يَعُد الخطاب الدّعوي الذي يلعب على العواطف والمشاعر وحده ينفع في اجتذاب الناس نحو «الإخوان»، كما لم يَعُد الانطلاق من أسس دينيّة وإعطاء صبغة إسلامية صالحاً لإقناع الناس بأن الجماعة أقرب إلى الصّواب أو أقدر على إدارة البلاد، فالمواطن يريد أن يأكل ويشرب ويجد وظيفة ويعيش حياة كريمة، ولن يقوم بأيّ شكل من الأشكال بانتخاب مَن لا يحقّق له مطالبه مرة أخرى. وهذا المواطن نفسه يقول اليوم للجماعة من خلال التصويت: نحن وثقنا بكم وأعطيناكم أصواتنا وأنتم لم تحقّقوا ما هو مطلوب منكم.

ما يمكن أن يكون لمصلحة «العدالة والتنمية» في الدرس المغربي القاسي، هو قبوله بلعبة الصناديق، وتقبّل الخسارة والعودة إلى مقاعد المعارضة التي جاء منها، بلا حروب ولا دماء ولا انقلابات. ولن ينفعه القول إن الملك هو المسيطر على القرار، ما دام الحزب قد قبل بأن يكون جزءاً من المشهد. فهو وحده من يتحمّل

> **التقهقر «الإخواني» الكبير ليس حالة عابرة وإنما أصبح مساراً واضحاً ومستمراً**

اللّوم، وإلّا فلْيبقَ خارج العمليّة السياسية ويكتفِ بالعمل الدّعوي، مثل جماعة «العدل والإحسان» التي لم تقبل بالمشاركة في العمل السياسي لأنها تعتبر أن المنظومة كلّها فاسدة. في لغة الأرقام، خسر الحزب ما يقارب تسعين في المئة من مقاعده، ونال 12 مقعداً فقط، نزولاً من 125 مقعداً من أصل 395 مقعداً في البرلمان المنتهية ولايته الذي انتُخب في العام 2016. وفشل زعيم الحزب، رئيس الوزراء سعد الدين العثماني، في الاحتفاظ بمقعده، بينما ضاعت منه بلديات مدن كبرى.

خسارة «العدالة والتنمية»، قابلها فوز لقوى يمين الوسط ويسار الوسط، حيث نال حزب «التجمع الوطني للأحرار» برئاسة الملياردير عزيز أخنوش، المرتبة الأولى بـ97 مقعداً، وهو حزب أسّسه أحمد عصمان رئيس الوزراء السابق، وصهر الملك السابق الحسن الثاني، في تشرين الأول 1978. كما حاز حزب «الأصالة والمعاصرة» الذي يتزعّمه عبد اللّطيف وهبي 82 مقعداً أبقته في المرتبة الثانية على رغم الظروف الصعبة التي مرّ بها بسبب «خلافات تنظيمية»، على حدّ قول زعيم الحزب. وبموجب الدستور، سيقوم الملك بتعيين رئيس الوزراء من الحزب الذي فاز بأكبر عدد من الأعضاء، ليقوم الثاني بتشكيل الحكومة.

(الأخبار)



وفيات

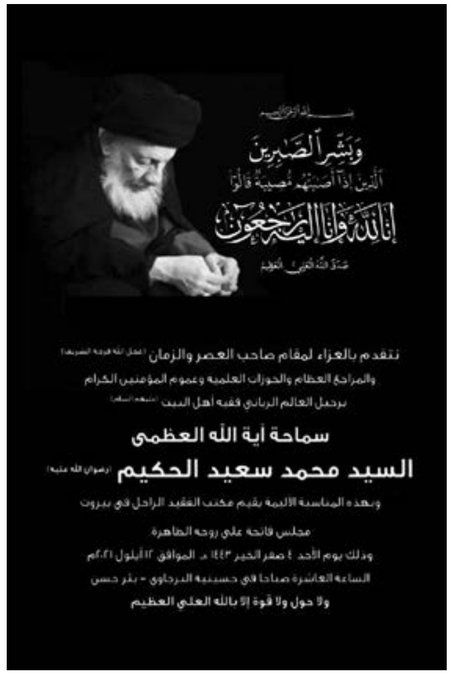


رقد على رجاء القيامة
**أنيس فايز خلف**
زوجته ليلى جورج خاطر أبي حبيب
أولاده فايز وزوجته جوردانا
فواز وعائلتهما
كريم وزوجته توني الشويري وعائلتهما
سامي وزوجته ندى يوسف
شقيقه سعيد وزوجته تمامة أبي حبيب وعائلتهما
شقيقته ليلى أرملة المرحوم نبيل طرزي وعائلتها
وأولادهم وعائلاتهم وأنسباؤهم
في الوطن والمهجر وعموم عائلات الخيام وروميه (المتن)
ينعونه إليكم
يحتفل بالصلاة لراحة نفسه الساعة الواحدة من بعد ظهر اليوم السبت 11 أيلول 2021 في كنيسة النبي الياس الغيور للروم الأرثوذكس، الخيام.
تقبل التعازي اليوم السبت 11 الجاري في صالون كنيسة النبي الياس الغيور للروم الأرثوذكس، الخيام ابتداءً من الواحدة من بعد الظهر لغاية الثالثة ويوم الأحد 12 الجاري في منزل الفقيد في روميه (المتن) ابتداءً من الحادية عشرة لغاية السابعة مساءً.

لإعلاناتكم المبوبة في الأخبار
71-513571
01-759500
كل 4 أسطر
100.000
ليرة لبنانية
كل سطر إضافي
20.000
ليرة لبنانية

إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
الأخبار
www.al-akhbar.com
هاتف 01-759500 واتساب 71-513571 فاكس 01-759597

الأخبار
al-akhbar
السبت 11 أيلول 2021 العدد 4435

## صورة وخبر

**تُعرض لوحات ومنحوتات لبابلو بيكاسو وآندي وارهول وديفيد هوكني ومارك روثكو والبرتو جاكوميتي للبيع في مزاد علني تقيمه «سوذبيز» قريباً، وتقدّر قيمتها الإجمالية بحوالى 600 مليون دولار. قال الرئيس التنفيذي لـ«سوذبيز»، تشارلز ستيوارت، إنّ الدار كُلّفت تنظيم المزاد في تشرين الثاني (نوفمبر) 2021 وأيار (مايو) 2021 المقبلين على 65 قطعة تشكّل «أكبر مجموعة من أعمال الفن الحديث والمعاصر لم يسبق طرحها في السوق». تعود ملكية المجموعة لقطب العقارات النيويوركي هاري ماكلو وزوجته السابقة ليندا، لكن القضاء لم يتوصّل إلى تحديد قيمتها خلال الطلاق الذي أثار اهتماماً إعلامياً واسعاً في أواخر العقد الثاني من القرن الحالي. وتوقّع ستيوارت أن يكون هذا المزاد «تاريخياً» وأن «يطبع سوق الفن وتاريخ سوذبيز البالغ 277 عاماً». (أ ف ب)**

## «بانوراما» تخوض في أرشيولوجيا الوصاية

# هذا ما جناه علينا الأنكل سام!

**زينب حاوي**

في خطاب «اليوم العاشر من محرم»، أفرد أمين عام «حزب الله» السيد حسن نصر الله، مساحةً لتوجيه اتهام مباشر للولايات المتحدة الأميركية بإدارتها الحرب الإقتصادية والإعلامية في لبنان. وقتها، ركّز على دور السفارة الأميركية في بيروت، وافتعالها التجييش والتحريض الإعلامي وتأليب اللبنانيين على بعضهم. كلام نصر الله، الذي أشار بشكل مباشر، إلى الإدارة الأميركية بالتواطؤ على لقمة اللبنانيّين، لم يكن يندرج ضمن خطاب سياسيّ في مناسبة دينية معروفة، بل كان يُراد له فتح آذان اللبنانيّين على هذه السياسة التي تُسهم في خنقهم، وفي خلق مناخات تحريضيّة في البلاد أوصلته إلى شفير الانهيار. وبينما تشهر وسائل إعلام محلية ترويجها للإدارة الأميركية وسياساتها، أكان بشكلٍ مباشر عبر الإعلانات السياسية للسفارة الأميركية، أو بطريقة موارية عبر دسّ سمومها في التقارير والبرامج التلفزيونية، قرّر برنامج «بانوراما» (إخراج رضا قشمر - تقديم ورئيس تحرير منار صباغ) على قناة «المنار»، أول من أمس، استكمال خطاب أمين عام «حزب الله» وتشريح دور الإدارة الأميركية وذراعها في لبنان، بشكلٍ توثيقي، يتّكئ على الأوراق الأميركية المنشورة في الأصل على مواقعها الإلكترونيّة، سيّما وزارة الخارجية الأميركية. هكذا، بلسان الأميركيّين ووثائقهم المنشورة بشكل علني، أو تلك المسرّبة عبر «ويكيليكس»، دخلت الحلقة على هذا الخط، مستعينةً بالباحث اللبناني هادي قبيسي، الذي قدّم سابقاً على الشاشة عينها، بحثاً مماثلاً عن «منظمات المجتمع المدني» أثار وقتها ضجةً في الأوساط الإعلامية. الحلقة التي امتدت على خمسين دقيقة، تضمّنت تشريحاً لـ«مهام السفارة الأميركية في بيروت»، و«أدوار الغرف السوداء لبعثة الولايات المتحدة الدبلوماسية إلى لبنان». كان من المفيد، الإضاءة على أدوار السفارة الأميركية في بيروت، وتشخيص مهام موظفيها المحليّين منهم والأميركيين المولجين بأداء أدوار محدّدة يتّضح من خلال الكشف عنها، أنها تقتصر على التعاطي مع لبنان كتابع، وكمنصّة لتأمين المصالح الأميركية و«أمن إسرائيل»، واستخدام إستراتيجية تحويل الأفراد والمنظّمات وحتى الموظفين في القطاعين العام والخاص في لبنان إلى مخبرين وتابعين. هذا ما أظهره قبيسي من خلال عرض ما يُعرف بـ «الإستراتيجية المدمجة»، المنشور على موقع «وزارة الخارجية» الأميركية، والخاصة بلبنان. استراتيجية توضح بالوثائق منظور الإدارة الأميركية إلى بلاد الأرز، ووسائل إعلامه ووزارته، وتجاهر العداء لـ «حزب الله»، ومن يدور في فلكه. وضمّت الحلقة أيضاً، صوراً جوّية لمقر السفارة الأميركية الجديد في «عوكر» وتشريحاً لمهام ضباطها في أقسام المعلومات والاقتصاد والدبلوماسية العامة، ويتّضح أنّها متغلغة داخل الجسم اللبناني، وتتدخّل في كل شاردة وواردة في عالم المال والاقتصاد ووسائل الإعلام والمراسلين، وتشكيل الحكومات. هكذا، تضع الحلقة أمام المتابع هذه الإستراتيجية الأميركية التي لا تحتاج إلى تظهير أكثر مع أدوارها المكشوفة في لبنان سيّما في الآونة الأخيرة، لكن كان من المفيد أن تُدان من وثائقها، مع إفراد دور لوسائل الإعلام المحلية التي تصفها واشنطن بـ «المعتدلة» والتي تنفذ «القيم الأميركية». لكن في النهاية، يتّضح كما يقول قبيسي أنّ «القيم» لا تعدو كونها العشر مليارات التي كشف أرقامها الدبلوماسي الأميركي دايفيد هيل أخيراً، في تمويل وسائل الإعلام اللبنانية وما يُعرف بـ«منظمات المجتمع المدني».

## دانتي و«الكوميديا الإلهية» «حوار» بيروتي

بين 14و26 أيلول (سبتمبر) الحالي، يدعو «مهرجان بيروت للأفلام الفنّية الوثائقية» إلى المشاركة عبر الإنترنت أو حضورياً في ثماني سهرات من الشعر والموسيقى والمسرح والأفلام والفن، باللّغات الإيطالية والفرنسية والإنكليزية والعربية. يجري الحدث بالشراكة «مع المعهد الثقافي الإيطالي في بيروت»، إحياءً للذكرى الـ700 لوفاة الشاعر الإيطالي دانتي آليغري (1265-1321/ الصورة) واحتفاءً بالملحمة الشعرية «الكوميديا الإلهية»، تحت شعار «حوار». نشأت الفكرة الأولى لـ«الكوميديا الإلهية» بهدف تمجيد حبيبته بياتريشي وتخليدها، وهو الذي نذر أن يقول فيها ما لم يُقل قَط في أي امرأة.

من 14 إلى 26 أيلول ـ دارة آل داغر (الجميزة) وعلى النت. الدّخول مجّاني. (للاستعلام: الرابط على موقعنا)

## السينما اللبنانية تضيء ليل عكّار

ضمن فعاليات مهرجان «ريف ـ أيام بيئية وسينمائية» المستمر في القبيات (عكار ـ شمال بيروت) وعلى الإنترنت لغاية بعد غدٍ الاثنين، سيكون الجمهور اليوم السبت على موعدٍ مع عروض أفلام لبنانية بامتياز في «معمل الحرير». البداية، مع باكورة أمين درّة الروائية «غدي» (2013 ـ تأليف وبطولة جورج خباز ـ س: 17:00). في إحدى القرى اللبنانية، يعيش الطفل «لابا» الذي يعاني من ثقلٍ في النّطق ممّا يجعله محطّ سخطٍ وسخريةٍ للعديد من رفاقه في المدرسة. بدأ الطفل في تعويض النّطق بالكتابة، ثم جاء البيانو إلى قريته وبدأ في تعلّم العزف على يد الأستاذ «فوزي»، وتخلّص من مشكلته مع مرور الأيام، وصار معلماً للموسيقى والغناء. تزوّج ورُزق بصبي مصاب بمتلازمة داون يُدعى «غدي»، تثير ثرثرته غضب أهل القرية. إلّا أنه كان في نظر والده ملاكاً، الأمر الذي يحاول إثباته لجميع السكان. وعند الساعة التاسعة والنصف مساءً، يُعرض الفيلم الروائي القصير «أمّي» لوسيم جعجع. الشريط الحاصل على الجائزة الفضيّة في مسابقة الأفلام الروائية القصيرة في «مهرجان الجونة السينمائي» 2019، يستلهم سيرة صاحبه، فيما تدور الأحداث حول الطفل «وسيم»، الذي يعيش في أحد الأحياء المسيحية الصغيرة. تموت أمّه، فيقرّر سرقة تمثال العذراء من الكنيسة، ليُساوم الرّب على إعادة أمّه له. لكن مع الوقت، يدرك الصبي البالغ 9 سنوات أنّ حضن والدته لن يعود، وأنّ عليه مواصلة الحياة من دونها. هكذا، يستحيل قبرها مزاراً كلّما احتاج إلى التحدّث إليها. يقدّم الشريط سرداً حميميّاً يفيض بالمشاعر ويطرح فكرة فقدان الأشخاص المهمّين في حياة الإنسان وكيفية تعايشه مع العالم الذي رحل أحبّاؤه عنه. يغلّف «أمّي» الفلسفة بالكوميديا، ويبيّن بشكل غير مباشر طبيعة الحياة في هذه المجتمعات المغلقة على نفسها. وتُختتم العروض مع «1982» (بطولة نادين لبكي وروديريغ سليمان ومحمد دالي وغسّان معلوف وعليا خالدي وغيا ماضي وليلى حرقوص وسعيد سرحان وزينة صعب ديميانيروا وجوزيف عازوري). العمل الروائي الطويل الأوّل لوليد مونّس. الفيلم الحاصل على جائزة «شبكة الترويج لسينما آسيا والمحيط الهادئ» (NETPAC) ضمن الدورة الـ 44 من «مهرجان تورونتو السينمائي الدولي»، تدور أحداثه إبّان الاجتياح الإسرائيلي للبنان، في مدرسة خاصة على مشارف بيروت، حيث يحاول «وسام» (11 عاماً) البوح لفتاة في صفّه عن حبّه لها. ومن حولهما، يحاول الأساتذة من انتماءات سياسيّة مختلفة إخفاء مخاوفهم وحمايتهم.

عروض أفلام: اليوم السبت ـ بدءاً من الساعة الخامسة بعد الظهر ـ «معمل الحرير» (القبيات ـ عكار/ شمال لبنان).

جورج خبّاز في مشهد من «غدي»

## «مغني» قاسم حول: رعب في كليمنصو

في إطار فعاليات «مساء الأفلام»، تدعو «دار النمر للفن والثقافة»، في 21 أيلول (سبتمبر) الحالي، إلى حضور فيلم «المغني» (2010 ـ 91 د) للمخرج العراقي قاسم حول (1940 ـ الصورة)، يليه نقاش مع الأخير عبر الفيديو. تدور أحداث الشريط حول دكتاتور يحتفل بعيد ميلاده في قصره الباذخ، وبسبب تأخّر المغني ذي الحظ العاثر لظروف قاهرة وخارجة عن إرادته، يستشيط الطاغية غضباً فيعاقب هذا المغني بأن يؤدّي مهمّته ووجهه صوب الحائط، فيما ظهره إلى الجمهور الذي انتقاه الدكتاتور.

عرض فيلم «المغني»: الثلاثاء 21 أيلول ـ الساعة السادسة بعد الظهر ـ «دار النمر للفن والثقافة» (قاعة المسرح ـ شارع أميركا ـ كليمنصو/ بيروت). للاستعلام: 01/367013 أو 70/807473

الأخبار
al-akhbar
السبت 11 أيلول 2021
العدد 4435 السنة السادسة عشرة
Samedi 11 Septembre 2021 nº 4435 16ème année
كلمات
ملحق أسبوعي
www.al-akhbar.com

# محمد كرد علي التنويري المنسي

يمكن اعتبار العلّامة السوري محمد كرد علي (1876 ـ 1953) أحد المفكّرين القلائل ممّن روّجوا في بداية العصر الماضي إلى نوع من العلمانيّة الإسلامية المعاصرة، بشكلٍ عضوي ومركّز كما يقول الباحث الفلسطيني سليم تماري. انخرط في هذا المشروع مع المجموعة الطليعيّة المتنوّرة التي جمعته بها مجلة «المقتبس» (1908 ـ 1914) الصّادرة في دمشق في مطالع القرن العشرين. مجموعة ضمّت إليه رفيق العظم من سوريا، أحمد زكي باشا من مصر، جرجي زيدان، وشكيب أرسلان، وعيسى اسكندر المعلوف وأحمد رضا من لبنان، ومحمد رضا الشبيبي من العراق وغيرهم.

ولدَ محمد كرد في السليمانية في شمالي العراق لأب كردي وأم شركسيّة، وتعلّم في الكتّاب القراءة والكتابة والقرآن، وأتمّ تعليمه الثانوي في «مدرسة الراهبات العازريات» في دمشق، حيث أتقن اللّغتين الفرنسيّة والتركية، إلى جانب العربيّة. وكان لا بد لمن سيصبح أول وزير للمعارف والتربية في سوريا، ورئيساً لمجمع اللغة العربية في دمشق أن ينهل من خزانة التراث العربي الغنيّة، فتتلمذ على يد الشيخ سليم البخاري، والشيخ محمد مبارك، والعلّامة طاهر الجزائري، فقرأ كتب الأدب واللغة والبلاغة والفقه وعلم الاجتماع والتفسير وعلم الرجال والأسانيد والفلسفة.

استهوت الصحافة محمد كرد علي باكراً، ليُعهد إليه تحرير جريدة «الشام» الأسبوعية عام 1897. لكنّ القاهرة شغفته لاحقاً، وكانت تجربة محمد علي باشا في الإصلاح والتحديث لم ينقض ذكرها بعد، فسافر كرد علي إلى القاهرة سنة 1901 لابثاً فيها حقبة قصيرة في تحرير جريدة «الرائد المصري»، ليعود أدراجه إلى دمشق بعد تفشّي الطاعون في القاهرة، وتبدأ فترة من الاضطرابات والملاحقات من البوليس التركي. إذ إنّ كرد علي لم يوفّر الأتراك وولاتهم من النّقد اللّاذع في مقالاته كافة. يعود محمد كرد علي إلى مصر عام 1906، وينشر «المقتبس» المجلة الأشهر في حينها بعد جريدة «الجوائب» التي أنشأها أحمد فارس الشدياق في الأستانة. كما تولّى في الوقت ذاته تحرير جريدة «الظاهر» اليوميّة. ولمّا أُغلِقَت، دعاه الشيخ علي يوسف صاحب جريدة «المؤيد» ـ وهي يومئذٍ كبرى جرائد العالم الإسلامي ـ إلى التّحرير فيها، فعمل هناك حتى سنة 1908، حين غادر القاهرة إلى الشام بعد الانقلاب العثماني. في دمشق، تابع حتى سنة 1914 إصدار مجلة «المقتبس» التي كانت ترصد أخبار الولايات العثمانية واحتكاكها الصعب مع الحداثة في مطالع القرن العشرين، وبعين أخرى الضوء القادم من الغرب. إذ إنّ باريس كانت قبلة لعلاّمة الشام الكبير، التي زارها مرّتين هي وكبريات العواصم الأوروبية، مدوّناً رحلاته في «غرائب الغرب» (1922) ثاني أهم كتبه بعد «خطط الشام» (1925) وهو السفر الضخم الذي أفرده للشام ومحبوبته دمشق في تاريخها وعمرانها ومللها ونحلها وأحوال السياسة فيها.

بعد هزيمة تركيا في الحرب الأولى، استطاع محمد كرد علي أن ينتزع من حكومة الملك فيصل قراراً بتغيير ديوان المعارف بأعضائه ورئيسه، واستبداله بـأوّل مجمع علمي عربي في دمشق عام 1919، والذي سيرأسه كرد علي حتى وفاته. لئن ذاع صيت محمد كرد علي كمؤرّخ، وكصحافي، ووُصفت جريدته «المقتبس» بأنّها «معتدلة في السياسة، وطنيّة بلا تحفّظ، ناقدة للسلوك الإداري العثماني في الحكم»، فإن الإطلاع على مؤلفاته الأخرى التي بدأت «دار الرافدين» (بيروت/ بغداد) بإعادة طباعتها في حلّة جديدة ضمن سلسلة «استعادات» (تحقيق الزميل محمد ناصر الدين) من «غرائب الغرب» و«في تراث العرب والمسلمين» و«في الأدب والفن واللّغة» و«مطالعاتي في الكتب»، تطرح تحديات جدية على كل من يصرّ على إخراج محمد كرد علي من خانة «المفكّر» وإدراجه في خانة الصحافي أو المؤرخ حصراً. تشكّل نصوص «الإسلام والحضارة العربية» أول محاولة جدية من عقل عربي لنقد الاستشراق. كما أنّ مراجعات محمد كرد علي لصفحات إشكاليّة من التراث وإبراز جماليّتها وإمكانية استخدامها في حداثة ممكنة، شكّلت صلة وصل بين ما بدأه رفاعة الطهطاوي ومحمد عبده وعبد الله النديم في القاهرة كمحاولة لمصالحة الإسلام مع المدنية ومشروع كبير سيشرع به مفكرون وشعراء ومثقفون كبار أمثال حسين مروة، ومحمد عابد الجابري، وأدونيس وجورج طرابيشي وغيرهم في ما بعد في التفكير في «الثابت» و«المتحوّل» في هذا التراث وبنية العقل العربي ومناطق قوّته وضعفه وهرطقاته ونزعاته المادّية والروحية.

ملف

# كارل ساندبرغ ... شاعر الفئات العمالية والطبقات المسحوقة

ديناميّة الترجمة الأدبية في العالم العربي بطيئة جداً، وفي الشعر أكثر بطئاً، لأكثر من عامل: اعتبار الشعر نوعاً نخبوياً، كتابياً، لا جماهيرياً، إلّا في ما نَدر (مظفّر النواب، محمود درويش). تبخيس الناشرين له، باعتبار إصدار الدواوين الشعرية عملاً غير مربح، بل مثلبةً قد تَسِمُ بعضَ الدور، خصوصاً لأنّ الشعر بالذات ــ لخصوصيته الأسلوبية والشكلانية، معنًى ومبنًى ــ يتطلب شاعراً لترجمته، وفي أدنى الحالات متخصّصاً في هذا الميدان بعينه.

وفي قائمة الشعر الأميركي المنقول إلى العربية، تكرّست أسماء معروفة بعينها (ويتمن، إدغار بو، جيل «البيت»)، لتتسبّب هذه السّياسة الثقافية المجحفة في حجب أسماء أهمّ أحياناً، كروبرت بلاي الذي لم تُتَرجَم له أي مجموعة كاملة لغاية الساعة، وإنما كتاب مختارات يتيمة (ترجمة سامر أبو هواش). كذلك الحال بالنسبة إلى كارل ساندبرغ (1878 ــ 1967)، الذي يُترجم له أسامة إسبر هنا (انظر المختارات أدناه) أوّل مجموعة شعريّة كاملة في العربية، بعدما كان سامر أبو هواش قد ترجم له كتاب مختارات شعرية. لم يكن مدخل ساندبرغ للذيوع شعرياً فقط، بل كان سِيَرِيّاً أيضاً، بتكريسه سنواتٍ من حياته لسيرة ضخمة، في ستة مجلّدات، تتناول أبراهام لينكولن، من خلال شهاداتِ لقيادات شاركت في الحرب الأهلية وذكريات ساكِنَة احتفظت بأحداثٍ من ويلات هذه الحرب وحَوَاسِمِها، بحيث صار هناك تماهٍ، لدى قرّاء النصف الأول من القرن العشرين، بين ساندبرغ ولنكولن، بل صار المؤرخون يؤكّدون أن الأميركيين لم يعرفوا لنكولن من مصدرٍ تاريخيٍّ آخر غير سيرة ساندبرغ عنه. في سنة 1959، حصل على جائزة Grammy لأحسن مادة صوتيّة (پرفورمانس) من خلال إلقائه نصّ پورتريه لنكولن برفقة أوركسترا نيويورك الفيلهارمونية. يُضاف إلى هذه الموهبة، المزدوجة في الكتابة شعراً ونثراً، تَعَلُّقُهُ بجمع الأغاني الفولكلورية وإنشادها، وكتابة حكايات للأطفال، كانت في البداية خصّيصاً لبناته. ولساندبرغ رؤية خاصة في كتابة الحكاية، ذلك أن مشروعه في أدب الطفل كان يَتَغَيَّى الخلوص إلى حكايات جنِّيَّات أميركية الطابع، ومخصّصة للطفولة الأميركية: فالقصص الأوروبية مُنْزَعة بالملوك والفرسان البعيدين كلّ البعد عن الواقع الأميركي. لذلك، أتَتْ حكاياته بمعطياتٍ من واقع أميركا، كناطحات السّحاب والقطارات والجِنِّيَّات المصنوعة من عرانيس الذرة وقطع الكعك. بعد فوز إرنست همنغواي، سنة 1954، بنوبل للآداب، أعلن الأخير أنّه كان سيكون سعيداً لو مُنحت لساندبرغ بدلاً منه. سيحصل على الـ «بوليتزر» خلال ثلاث دورات: دورتان في الشعر (1919و1951) ودورة في التاريخ (1940) توَّجت سيرته عن لنكولن. شِعره «العُمَّاليّ» ليس نابعاً من معاينةٍ اجتماعية فحسب، بل أيضاً من تجربته، منذ بداية شبابه، كعامل جَوَّالٍ مارس حِرفاً يدوية عديدة، في كل منطقة الغرب الأوسط الأميركي، حيث تتبَّع حياةَ أهاليها بعين الشاعر المتفحّص والدارس الفولكلوري الذي خبر الذاكرة الموسيقية والحِكائية للطبقات الشعبية بكامل هذه المنطقة الشاسعة والمتنوعة الثقافات. كان المِحَكُّ الأول لكتابة ساندبرغ والتزامه الجمالي/ السياسي اشتغالُه في الصحافة وفي أمانة العُمدة الديمقراطي ــ الاجتماعي لمدينة ميلووكي (Milwaukee) بين 1910 و 1912، لينتسب بعدها للحزب الاجتماعي ــ الديمقراطي لويسكنسن (الاسم الذي عُرِفَ به الحزب الاشتراكي الأميركي في الولاية)؛ وما زالت تنتصب في المدينة، لحد الساعة، لوحة تذكارية تخلّدُ نشاطَه الحزبي هذا لصالح أهاليها. بعدئذٍ، سيشتغل في شيكاغو محرراً للافتتاحيات في يومية Chicago Daily News. وفي موازاة هذا الاهتمام المزدوج بالسّياسة والصحافة، كَتَبَ ديوانه الشعري الأول «قصائد شيكاغو» (1916)، الذي ستليه مجموعات أخرى، في مسارٍ شعري سَيَتَوَّجُ بـ «بوليتزر» سنة 1951 عن مجمَل قصائده. نقدياً، ولدواعٍ أيديولوجية صرفة، اعتُبِرَت قصائدُه الأولى من قبل غالبية المختصّين والمُواكِبين «أدباً من الدرجة الثانية»، لانحيازها الأسلوبي إلى اللغة المحكية للطبقات المستضعَفة. ورغم هذا التناول شبه العدائي في النقد والصّحافة لمنجَزه الشعري، فقد ذاعت قصائده بسرعةٍ، لبساطة لغتها ونزوع تراكيبها نحو استلهام كلام الناس اليومي، مما سهَّلَ لها الاندراج في المقررات المدرسية الأميركية كَمُعَبِّرٍ عن صوت الفئات العمالية والطبقات المسحوقة. مع ساندبرغ، ستتكرّس صورة الشاعر المنشِد الجوال، في حفلات يحييها أمام الجمهور أو على أمواج الراديو، لا لقراءة وغناء قصائده الخاصة وتلك الفولكلورية التي جَمَعَها فحسب، وإنما أيضاً لإلقاء مقالات شعرية وجيزة يُقَدِّمُ فيها رؤيتَه للشعر ووظيفته، وسَبَرَه لأغوار المجتمع الأميركي في أُهْجِيَّاتٍ ساخرة. وربما كان ساندبرغ، بمسلكه هذا، أول الشعراء المنشدين بعزفٍ منفرد في تاريخ أميركا، وهو بهذا يحيي تقاليد التروبادور البروفنسالية التي تعود إلى القرن السادس عشر الغرب ــ أوروبي. سانَدَ ساندبرغ حركة الحقوق المدنية، وكان أول رجل أبيض تشرّفه «الجمعية الوطنية لدعم الملوّنين» بالميدالية الفضية باعتباره «رسولاً أساسياً للحقوق المدنية في حقبتنا». بوفاته، في عام 1967، سيصرّح الرئيس الأميركي ليندون جونسون: «كان كارل ساندبرغ أكثرَ من صوتٍ لأميركا، أكثرَ من شاعرٍ لقوتها وعبقريتها. لقد كان أميركا بذاتِها»

رشيد وحتي

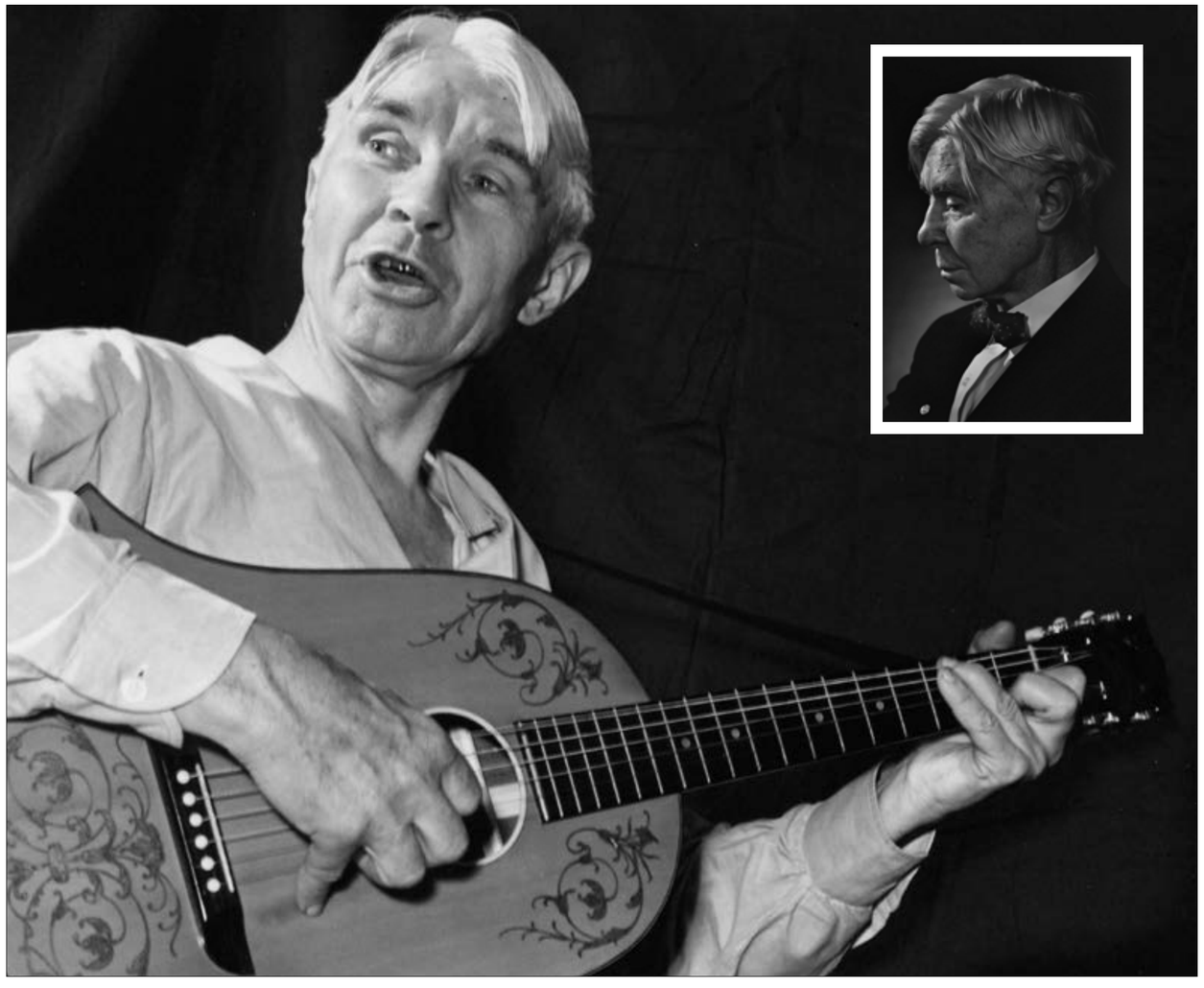



## قصائد شيكاغو (*)

ترجمة وتقديم **أسامة إسبر**

وُلد كارل ساندبرغ (Carl Sandburg) في غيلسبرغ في ولاية إيلينوي في السادس من كانون الثاني (يناير) 1878. بدأ العمل في سنّ الـ 11 وتولّى أنواعاً مختلفة من الوظائف: بواب صالون حلاقة، سائق شاحنة توزيع حليب، عامل في مصنع الطوب وحاصد للقمح. تطوّع ساندبرغ في قوة المشاة السادسة في إيلينوي حين نشبت الحرب الأسبانية ـ الأميركية سنة 1898. في سنة 1913 انتقل إلى شيكاغو حيث صار واحداً من مجموعة الكتاب الذين لعبوا دوراً في «نهضة شيكاغو» في الفنون والآداب.

جاء نجاحه الأول كشاعر بعد نشر قصيدة «شيكاغو» في مجلة «بويتري» الشعرية سنة 1914. في ما بعد، نُشرت هذه القصيدة مع قصائد أخرى في كتاب سنة 1916 بعنوان «قصائد شيكاغو». في السنوات الستّ التالية، نشر ثلاث مجموعات أخرى: «مقشّرو الذرة» (1918)، «دخان وفولاذ» (1920) و«ألواح الغرب الذي سفعته الشمس» (1922). تعكس هذه المجموعات وعي ساندبرغ لأميركا كأمّة مدينية على نحو متزايد. وفي قصائد مثل «شيكاغو»، يحتفي بالدافع والطاقة لدى السكّان العاملين في الغرب الأوسط الصناعي.

حصل ساندبرغ على جائزة «بوليتزر» في الشعر مرّتين ثم مرة ثالثة عن كتابه حول أبراهام لنكولن. توفي في 22 تموز (يوليو) 1967 في فلات روك، في نورث كارولاينا.

### 1. قمر الطفلة

تتعجّب الطفلة
من القمر القديم
في الليل.
تشير بإصبعها
إلى شيء أصفر صامت بعيد
يتوهّج بين الأغصان
ويرشح بين الأوراق رملاً ذهبيّاً،
صائحة بلسانها الصغير: «انظروا القمر!»
وفي سريرها تغرقُ في النوم
وثرثرات القمر على فمها الصغير.

### 2. شيكاغو

يا قصّابةَ لحم الخنزير للعالم
يا صانعةَ الأدوات، وجامعةَ القمح،
أيتها الخبيرة في السكك الحديدية،
ومُعالِجَة الشحْن في الوطن،
أيتها الجامحةُ الفظّةُ المشاكسةُ
يا مدينةَ الأكتاف الكبيرة:

قالوا إنك شرّيرة فصدّقتُهم، ذلك
أنني رأيتُ نساءك المتبرّجات
يغوين عمّال المزارع تحت المصابيح
الغازيّة.
قالوا إنّك مخادعة فرددتُ: نعم، هذا
صحيح لأنني رأيتُ المجرم يقتلُ
وينطلقُ حراً كي يقتل من جديد.
قالوا إنك متوحّشة فأجبتهم: رأيتُ
علامات جوع لا يرحم على وجوه
النساء والأطفال.
وبما أنني أجبت هكذا التفتُّ مرة
أخرى إلى الذين سخروا من مدينتي،
ورددت لهم السخرية قائلاً:
هيّا اروني مدينةً مرفوعة الرأس
تغنّي فخورة
بأنّها حية وفظّة وقوية وماكرة.
هنا ثمة شخص جبّار طويل واصلع
يقف قويّاً ومشرقاً إزاء مدن صغيرة
ناعمة.
يقذف لعنات ساحرة وهو يكدح
مكوّماً عملاً فوق آخر
شرساً ككلب لسانه متدل يركض
لاهثاً من أجل العمل، ماكراً كبدائيّ
تستفزّه البراري،
عاري الرأس
يجرف
يهدم
يخطط
يبني، يحطّم، يعاود البناء،
تحت الدخان، فيما الغبار يغطّي
فمه، ويضحك بأسنان بيضاء،
يضحك تحت العبء المريع للقدر كما
يضحك
الشاب،
كما يضحك مقاتلٌ جاهلٌ لم يَخسرْ
معركةً واحدةً،
يتباهى ضاحكاً أنّ تحت رسغه
النبض، وتحت أضلاعه
قلب الناس،
يضحك!
يضحك الضحك العاصف، الأجشّ
الهادر للشباب، نصف عار،
متعرّقاً، فخوراً بأن يكون قصّاب
لحم خنزير، صانع أدوات، جامع
قمح، متقناً لأعمال السكك الحديدية
ومعالجَ الشحن للوطن.

### 3. ضباب

يغمر الضباب
أقدام القطة الصغيرة.
يجلس ناظراً
فوق المرفأ والمدينة
على كفلَيْن صامتين
ثم ينطلق.

### 4. ضوء أبيض

تُضيءُ الصقيع الليلة بضوئك
الأبيض
يا قمرَ اللون الأرجواني والغرب
الصامت.
تذكّرني كأحد عشّاق الأحلام الذين
منك.

### 5. حديد

مدافع،
مدافع طويلة، فولاذية،
مسدّدة من السفن الحربية،
باسم إله الحرب.
مدافع مستقيمة، لامعة، ومصقولة،
يتسلقها أستراليون محليّون في
بلوزات بيضاء،
مجد الوجوه السمراء، الشعر
الأشعث، الأسنان البيضاء،
أشخاص رشيقون ضاحكون في
بلوزات بيضاء،
يجلسون على المدافع وينشدون
أناشيد الحرب، ترانيم الحرب.
مجارف،
مجارف عريضة، حديدية،
تحفر مدافن مستطيلة
وتسوّي الأرض العشبية.
أطلب منكم
أن تشهدوا:
إنّ المجرفة شقيقة المدفع.

### 6. ويطيعون

دمّروا المدن.
حطّموا الجدرانَ إلى قطع.
حطّموا المصانع والكاتدرائيات،
المستودعات والمنازل
إلى أكوام مبعثرةٍ من الحجارة
والأخشاب والفحم الأسود المحترق:
أنتم الجنود ونحن نأمركم.

ابْنوا المدنَ.
شيّدوا الجدران مرة ثانية.
حوّلوا المصانع والكاتدرائيات
والمستودعات
والمنازل، مرة ثانية
إلى أبنية للحياة والعمل:
أنتم عمّال ومواطنون: ونحن نأمركم.

### 7. حروب

في الحروب القديمة طقطقةٌ للحوافر
وخبطٌ للأقدام المُنْتعلة.
في الحروب الجديدة هَمْهَمةٌ
للمحرّكات وخَطْو عجلات مطّاطيّة.
في الحروب القادمة عجلاتٌ صامتةٌ
وأزيزُ مسدّسات لم يُحلم بها بعد
في رؤوس الرجال.

في الحروب القديمة قبضاتُ سيوفٍ
قصيرة وطعناتٌ في الوجوه
بالرماح.
في الحروب الجديدة مدافعُ بعيدةُ
المدى وجدرانٌ مهدّمةٌ، مدافعُ تُطلَقُ
بصاقاً معدنيّاً
ورجالٌ يتساقطون بالعشرات
والعشرينات.
في الحروب القادمة ميتاتٌ صامتة
جديدة، وقاذفاتٌ جديدة صامتة
لم يُحْلَم بها بعد في رؤوس الرجال.

في الحروب القديمة ملوكٌ يتنازعون
وآلاف الرجال يتبعونهم.
في الحروب الجديدة ملوك
يتصارعون وملايين الرجال
يتبعونهم.

> أول الشعراء المنشدين بعزفٍ منفرد في تاريخ أميركا، وهو بهذا يحيي تقاليد التروبادور التي تعود إلى القرن السادس عشر

في الحروب القادمة ملوك يُزَكّلون
ويُرْمَون تحت التراب وملايين الرجال
يسعون وراء قضايا عظيمة لم يُحلم
بها بعد في رؤوس الرجال.

### 8. من أنا؟

رأسي يلامس النجوم.
قدماي على قمم الهضاب.
رؤوس أصابعي في أودية وشواطئ
الحياة الكونية.
إلى الأسفل، إلى الزبد الصاخب
للأشياء البدائية، تصل يداي
والعبءُ بحصى القدر.
ذهبتُ إلى الجحيم وعدتُ منه مرات
كثيرة.
أعرف كلَّ شيء عن الفردوس، ذلك
أنني تحدّثتُ مع الله.
أتبلّل في دم وأحشاء المربع.
أعرف الأشر الهيامي للجمال
والتمرّد المدهش للإنسان على كلّ
اللافتات التي كُتِبَ عليها: «ابتعد».
اسمي هو الحقيقة وأنا الأسيرةُ
الأكثر مُراوغةً في الكون.

### 9. جماهير

تجوّلتُ في الجبال ورأيت الضباب
الأزرق والجرف الأحمر شديد
الإنحدار
فذُهلت،
على الشاطئ حيث يناور الدفع
الطويل تحت المدّ اللانهائيّ، وقفتُ
صامتاً،
تعالى في رأسي صخب الأفكار تحت
النجوم في السهب وأنا أراقب طائر
الغطّاس يتمايل فوق أعشاب الأفق.
لمستُ جميع الرجال العظام، ومواكب
الحرب والعمل، والجنود والعمّال،
ونساءً يحملْن أطفالهنّ شاعراً
بإثارتهم المقدّسة.
و في أحد الأيام حظيتُ بنظرة
حقيقيّة إلى الفقراء، ملايين الفقراء،
الكادحين الصابرين، الأكثر صبراً من
الصخور والمدّ والنجوم، الصابرين
كظلمة الليل لا يُحصى لهم عدد،
وجميع الأنقاض المتحطمة،
المتواضعة للأمم.

### 10. من الشاطئ

طائرٌ رماديٌّ وحيد،
يغطس في الأعماق، يُحلّقُ بعيداً،
وحيداً في الظلال والمشاهد الخلابة
واضطرابات
الليل والبحر
والنجوم والعواصف.

في الخارج يرتعشُ ويرفرفُ في
الظلام،
في الخارج يتارجحُ وينحدرُ داخل
الظلمة،
في الخارج في الريح والمطر والمسافة،
في الخارج في حفرة عالم كبير
أسود،
حيث الضباب يتقاتل، مدفوعاً من
السماء، ومنتفخاً من البحر،
حبّ الضباب وغبطة الهرب،
أمجاد الحظّ ومخاطر الموت
على جناحيه المتلهّفين الخافقين.

في الخارج، في عمق العالم الكبير
المظلم،
وراء الحدود الطويلة، حيث الزبد
واندفاع
الأمواج المنشطرة ضائعان
ومتلاشيان
في المدّ الذي يغوص ويرتفع ويتفتت.

(*) مقتطفات من كتاب مختارات شعرية، صدر حديثاً بالعنوان نفسه، عن «دار خطوط» (عمان ـ الأردن)

مقطع من رواية

# رومان غاري: بؤساء بلفيل

**على رغم المكانة المركزية التي تحتلها أعمال الروائي الفرنسي رومان غاري على الخريطة الأدبية العالمية والفرنسية، فإن هذه الأعمال لم تحظ باهتمام دور النشر والمترجمين العرب. غاري (1914–1980) هو الكاتب الوحيد الذي فاز بجائزة غونكور للرواية مرتين، أولاهما عن روايته «جذور في السماء» عام 1956، والثانية عام 1975 عن رائعته «الحياة أمامك» أو «بؤساء بلفيل» التي كتبها تحت اسم مستعار هو «أميل أجار»، لخوضه حينها معارك أدبية ضارية مع بعض الأوساط النقدية الفرنسية التي كانت تشكك في جودة نتاجه الروائي. بعد أربعة أيام من الإعلان عن الجائزة، يطلب غاري من قريبه بول بافلوفيتش أن يلعب دور أجار أمام وسائل الإعلام، بينما توضح المحامية جزيل حليمي أن الأخير يرفض الجائزة لأسباب خاصة تتعلق بالطمأنينة والهروب من الأضواء والشهرة. فتنتقد الصحف الكبرى هذا الموقف وتتمسك لجنة غونكور بخيارها، إذ أن «الجائزة قد أعطيت لكتاب قبل مؤلفه»، ولن يُكتشف سرّ مؤلفها الحقيقي، رومان غاري، إلا بعد موته عام 1980. بشرى سارة زفّتها «منشورات الجمل» حول صدور «بؤساء بلفيل» قريباً بترجمة اللبناني صالح الأشمر ضمن مشروع ترجمة أعمال غاري. وينفرد ملحق «كلمات» بنشر فصل منها قبيل صدورها.**

تقديم **محمد ناصر الدين**

في المنزل أخذت تحشو نفسها بالمهدّئات وقضت السهرة محدّقة إلى الأمام مباشرة بابتسامة سعيدة لأنها لا تشعر بشيء. لم تعطني أبداً من هذه المنبّهات. كانت امرأة أفضل من أي شخص آخر ويمكنني أن أوضح هذا المثال هنا بالذات. إذاً أخذتم مثلاً السيدة صوفي التي كانت تدير هي أيضاً بيتاً سرياً لأبناء العاهرات في شارع سوركوف، أو تلك التي تدعى الكونتيسة، لأنها أرملة كونت، في باريس، فقد كانتا تأخذان حتى عشرة أطفال أحياناً في أثناء النهار وأول ما تفعلانه هو حشوهم بالمهدّئات.

السيدة روزا عرفت ذلك من مصدر موثوق به عن طريق برتغالية إفريقية كانت تكدّ في التريانداري أن أوضح هذا المثال هنا بالذات. إذاً أخذتم مثلاً السيدة صوفي التي كانت تدير هي أيضاً بيتاً سرياً لأبناء العاهرات في شارع سوركوف، أو تلك التي تدعى الكونتيسة، لأنها أرملة كونت، في باريس، فقد كانتا تأخذان حتى عشرة أطفال أحياناً في أثناء النهار وأول ما تفعلانه هو حشوهم بالمهدّئات.

السيدة روزا عرفت ذلك من مصدر موثوق به عن طريق برتغالية إفريقية كانت تكدّ في التريانداري وسحبت طفلها من عند الكونتيسة وهو لا يقوى على الوقوف بفعل المهدّئات. وكثيراً ما كان يقع، وعندما توقفه يسقط من جديد

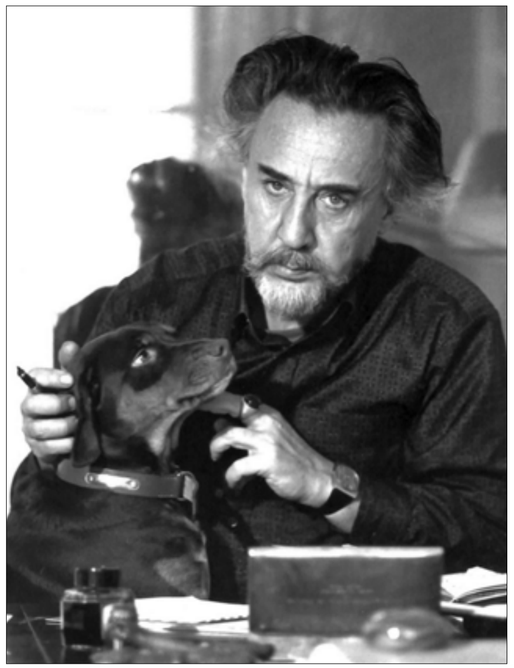

وكان يمكن اللعب معه على هذا النحو لساعات. لكن مع السيدة روزا كان الأمر مختلفاً كل الاختلاف. حين نكون مهتاجين أو لدينا في النهار أطفال مضطربون بشكل خطير، لأن مثل هذا موجود، كانت هي التي تحشو نفسها بالمهدّئات. عندئذٍ يمكننا الصراخ أو التضارب وما كان هذا ليصل إلى كاهلها. كنت أنا من يقع عليه فرض النظام وكان ذلك يعجبني كثيراً لأنه يجعلني متفوّقاً. وفي هذه الأثناء تكون السيدة روزا جالسة في كنبتها وعلى بطنها ضفدعة من الصوف داخلها قنينة ماء ساخن وراسها مائل قليلاً وتنظر إلينا بابتسامة جميلة، بل إنها في بعض الأحيان تلوّح لنا بيدها وكأننا قطار عابر، في تلك اللحظات لم يكن هناك شيء يمكن أن نتعلّمه وكنت أنا من يتولّى القيادة للحيلولة دون حرق الستائر وهي أول شيء نحرقه ونحن صغار.

الشيء الوحيد الذي يمكن أن يحرّك السيدة روزا وهي تحت تأثير المهدّئات هو قرع الجرس. كان لديها خوف فظيع من الألمان. تلك قصة قديمة مذكورة في كل الجرائد ولا أريد الدخول في التفاصيل لكن السيدة روزا ما زالت تعيشها. في بعض الأحيان كانت تعتقد أن الأمر ما زال سارياً، خصوصاً في منتصف الليل كانت شخصاً يعيش على ذكرياته. تتساءلون ما إذا كان الأمر سخيفاً تماماً في أيامنا هذه، حين مات كل شيء ودُفن، لكن اليهود متعلقون جداً خصوصاً عندما أبيدوا، وهؤلاء هم الذين يعودون أكثر من غيرهم. لطالما حدّثتني عن النازيين والأس. أس1. وأشعر ببعض الأسف لأنني ولدت بعد فوات الأوان لمعرفة النازيين، مع الأسلحة والأمتعة، لأننا على الأقل كنا عرفنا السبب والآن لا نعرف.

آخر كوميديا كانت ذلك الخوف الذي ينتاب السيدة روزا من رنين جرس الباب. وأفضل وقت لذلك هو في الصباح الباكر والنهار ما زال يتسلّل على رؤوس أصابعه. الألمان ينهضون باكراً ويفضّلون الصباح الباكر على أي وقت آخر من النهار. كان من بيننا واحد ينهض ويخرج إلى الممرّ ويضغط على الجرس، ضغطة طويلة ليحدث الضحك! يجب رؤية ذلك. آنذاك كان وزن السيدة روزا خمسة وتسعين كيلوغراماً ونيّفاً، أي نعم، فكانت تتدفق من سريرها كالمجنونة وتهبط نصف طابق قبل أن تتوقّف. أما نحن فنكون راقدين ونتظاهر بأننا نيام. وعندما ترى أن ذلك لم يكن من النازيين كانت تغضب غضباً رهيباً وتنعتنا بأبناء العاهرة، وهو ما لا تفعله أبداً بدون سبب. كانت تبقى مذهولة بعض الوقت مع بكرات الشعر على آخر ما تبقّى على رأسها، وتعتقد للوهلة الأولى أنها كانت تحلم ولم يُقرع الجرس على الإطلاق ولم يأت الرنين من الخارج. لكن كان من بيننا على الدوام تقريباً من ينفجر ضاحكاً وحين تدرك أنها كانت ضحية تطلق العِنان لغضبها وتشرع في البكاء.

أنا أعتقد أن اليهود أناس مثل الآخرين ولكن لا يجب أن نلومهم. في معظم الأحيان لم يكن علينا حتى النهوض للضغط على الجرس لأن السيدة روزا كانت تفعل ذلك بنفسها. كانت تستيقظ فجأة ودفعة واحدة، تنتصب على مؤخّرتها التي كان أكبر مما يمكنني أن أخبركم، وتصفي، ثم تقفز من السرير، وتضع وشاحها البنفسجي الذي تحبّه وتهرع إلى الخارج. لم تكن حتى تنظر إن كان هناك أحد لأن صوت الجرس كان يصدر من داخلها وهذا هو الأسوأ. أحياناً كانت تهبط بضع درجات أو طابقاً فقط وأحياناً تنزل إلى القبو كما في المرّة الأولى حين حصل لي الشرف.

في البداية اعتقدتُ أنها كانت تخبّئ كنزاً في القبو وأيقظها الخوف من اللصوص. ولطالما حلمتُ أنا بالعثور على كنز مخبّأ في مكان ما حيث يكون بمنأى عن الجميع ويمكنني العثور عليه متى احتجت إليه. في اعتقادي إن أفضل كنز من نوعه هو الذي يكون لك وبكل أمان.

كنت قد رصدت المكان الذي خبّأت فيه السيدة روزا مفتاح القبو فأخذته وذهبت لرؤية ما فيه، لم أرَ شيئاً سوى أثاث ومَبولة وعلب سردين وشموع، وأشياء كثيرة كما لو أن المكان مخصص لإقامة شخص ما. أضاءت شمعة وأنعمت النظر لكن لم أرَ إلا جدراناً بحجارة مسنّنة. وفي تلك اللحظة سمعت ضجة فقفزت في الهواء ولم يكن هناك سوى السيدة روزا. كانت واقفة على باب المدخل وراتني. لم تكن غاضبة بل على العكس بدت وكأنها تشعر بالذنب كما لو كان عليها هي أن تعتذر.

● لا ينبغي أن تخبر أحداً، مومو، أعطني هذا.

مدّت يدها وأخذت مني المفتاح.

● سيدة روزا ما هذا المكان هنا؟ لماذا تأتين إليه، وأحياناً في منتصف الليل؟ ما هذا؟

عدّلت نظارتها قليلاً وابتسمت.

● إنه مسكني الثانوي، مومو، هيّا، تعال.

نفخت على الشمعة فأطفأتها وأخذت بيدي ثم صعدنا ثانية. بعد ذلك جلست على كنبتها واضعة يدها على قلبها لأنها لم تكن قادرة على صعود الطوابق الستة دون أن تموت.

● أقسم لي أنك لن تتحدّث عن ذلك أبداً، مومو.

● أقسم لك، سيدة روزا.

● خَيريم؟

هذا يعني تمّ القسم عندهم.

● خَيريم.

عندئذٍ تمتمت وهي تنظر فوقي، كما لو كانت تنظر من وراء ومن أمام:

● ذاك جُحري اليهودي، مومو.

● آه جيّد، تمام.

● هل تفهم؟

● كلا، لكن لا يهمّ، أنا معتاد.

● ذاك هو المكان الذي اختبئ فيه عندما أشعر بالخوف، مومو.

● الخوف مِمّ، سيدة روزا.

● ليس من الضروري أن يكون لدينا أسباب للخوف، مومو.

لم أنسَ ذلك أبداً لأنه أصدق شيء سمعته على الإطلاق.

- على السِّلْوُلويْد كما في الحياة - سِتّة عشر عاماً

أَقَمْتُ في عُزْلة اختيارية،
فَخَانَكَ جَسَدُكَ في بروكسل
حينَ ثُقِّبَ لِطَرْقَةِ الغُدُدِ رِئَةُ. أرنُون،
ثُمَّ غافَلَكَ قَلْبُكَ النَّجِب،
لَحْظَةً جَالَت بيروت في ذهنك.

ستة عشر عاماً
انتظرتُ خلالها شَارَةَ النِّهَايَة يا بُرْهَانُ،
أَنِفْتُ في أخرها الحَجْبَ والانتظار
فَأَتَاكَ اليوم ذَيْلُ صَفِيحَةِ النَّعِيس،
بنهاية خَرِيفك الثمانيني،
خَاتِمَةُ بَعْضِرِكَ الذَّهَبِيّ.

* لبنان

شعر

# قبعة أخيرة لبرهان علوية

**غيث الامين ***

أدركتُ عمراً
ألِفت النَفس فيه الغياب،
أصدقاءُ يتساقطون أو يغادرون،
و أحبّة في كل الفصول يرحلون.

تعود بي الذكرى
إلى صيف عام 1980
في بلدتي «الضوانة»
يوم تصوير مشهد البيت الرّيفيّ
في أشهر أفلامك:
صباح هادئ
أو بعد ظهر ساكن،
في إحْلفية هواء خفيف
يَخُفّ السَّرْو العالي
و يتغلغل بين أغصان الياسمينة
عبر مُشْرَبِيّةِ البوّابة الحديديّة.
ابن السابعة يَرْتَقِبُ حركة فريق التّصوير، في المشهد الأوسع
قرب هيكليّات الإضاءة السّاطعة
المُنْقَضّة على فراغ الشّرفة المنخفضة
أمام الساحة الدّاخلية الصّغيرة
لبيت السيّد عبد الحسن «أبو محمود».

هل حَضَرْتَ التّصوير فعلاً؟
هل استَرَقْتَ المشهدَ المجتزأ في ذاكرتي
من بينْ فَخذَيْ تلك المرأة النّهِمَة؟
أم هو خيالي وَلَفّ كلّ ما تقدّم؟
فاختلط عليّ الفِلْمُ بالعالِم،
مِنْ فَرطِ ما تماهَيتُ مع شخصيّاتك،
و ذابَت المَعاينَةُ بالوَثيقة،
مِنْ قُـوَّةِ إحَاطَتِـكَ بـالأمْكِنَـةِ و المَساحات،
- تلك سَطْوَةُ شَجَبِيّة أحْيَاء «بيروت اللّقاء»
حَسَبَ جِيل دُولوز.

أنَهيْتَ حَيَاتَكَ الفيلميّةَ بـ «خلص»،
آخر أدوار صديقك فادي أبو خليل،
شاعر الويمبي، و سِكّير بعض ليالي الـ «شي أندريه»،
و عباس ابن فرناس فضاءات شارع الجمراء.
وَثَّقْتَ احتراقةَ السّريع وسُقُوطِهِ المُدَوّي
و على السّلْوُلويْد كما في الحياة -
أنّهُكَك تَعَبُ الأُسْطُورِيّ
و الإنتاج
و السّرطانُ،
فانْكَفَأتَ عَنِ المدينة على مَرَاجِل.

التَقَيتُك بعدها مرّتين:
في الأولى
ودَّعْنَا سَوِيّةً
في زيارة أخيرة
مسرح بيروت البحريّ،
و في الثّانية
تَسامَرنا لدقائق
في صالونك المحاذي للحظ الأخضر
رغم مَرَضِكَ البَالِغ و وَهْنِكَ الظّاهِر،
و من ثَمّ اختفيت.



فصل من رواية

# الهامستر (*)

**يوسف الخضر**

يوم السبت الساعة العاشرة مساءً، تركتُ بيت صديقي زيد. لم يطردْني عامداً إلّا أنه لَمّح لشيء من هذا. قاسمتُه غرفتَه الصغيرة لأيام عدة. هو الآخر لاجئٌ ترك مدينتَه بغداد، وجاء إلى بيروت ليسجّل في مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، بغرض الهجرة إلى أوروبا. ولكن الفرق بيني وبينه، أنّ لديه عائلة تسأل عنه وترسل له النقود بين حين وآخر. كان عليّ أن أرحل فليس له ذنب، وليس أمامي خيار آخر.

نزلتُ إلى الشارع وسرتُ باتجاه المنطقة العجيبة. هناك حيث يمكنك أن ترى وأنت تمشي في أحد شوارعها، الفقير والغنيّ، الفنّان واللصّ، المهرّج والسياسيّ. إنّها مزيج من الثقافات حيث ترى سودانيّاً عائداً من عمله على دراجته الهوائية، وآخر شعرُه مجعّد ويحمل حقيبة المثقفين على كتفه، وترى سورياً يبيع اليانصيب وآخر يُقال إنه مخرج أو ممثل مشهور، وترى سائحاً من جزيرة العرب بلباسه التقليدي الفضفاض، وآخر أجنبيّاً يرتدي الشورت ويبده كتاب صغير عليه خريطة المدينة.

سكانها الأصليّون هم «البيارتة» بلكنتهم الثقيلة وبساطتهم وثراء البعض منهم ثراءً فاحشاً، وأما بقيّة اللبنانيّين فيها فهم موظفون وطلاب جامعات ومثقفون من أنحاء البلاد، تكاد تراهم يوميّاً وفي التوقيت نفسه وكأن هذه المدينة بيتهم. مسرح «مترو المدينة» أول الشارع. كان الجو بارداً، وضعت يديّ في جيبوي لعلّي أجد بعض الدفء. وبينما كنتُ أحاول أن أستقر في جلستي، شعرت أن برودة الإسمنت لسعت ردفيّ، إلّا أنني سرعان ما اعتدتها، ولم أعرف إن كان المقعد أخذ الدفء من جسمي أم أن جسمي صار بارداً، وهكذا اتفّق أن كلينا تجاهل المسألة. فكّرت أنني ربما قد أنسى كل هذا بعد عامٍ من التشرّد، وقد أتعوّد مراسلاً لمجلة «تحوّلات» نهاراً وبين السهر إمّا في مطعم «مزيان» مع الموسيقى، وإما في مكتبة مقهى «تاء مربوطة» مع الكتب.

وها أنا أدخله مجدّداً، ببدٍ فارغة ووجه فارغ. وجيوب فارغة.

سرعان ما بدأ الوقت يمرّ متجاهلاً وجودي تماماً. وربما يجدر بي أن أردّها للوقت وأتجاهله أنا أيضاً. هكذا يمكنني أن أعيش، وهكذا سينتهي قلبي للخرسانة، عندما يطفو على وجهي ذلك الحزن ولا أجد أحدهم إلى جانبي. كل أحلامي ثلاثت بلحظة. ومن أحبّهم ماتوا ولا شكّ أن جثثهم تحلّلت وانتهت للتراب مجدّداً، تراب قريتي البعيدة هناك في الشمال الشرقي لسوريا. أصدقائي الذين جنيتهم هنا بعضُهم سافر والبعضُ الآخر سئم من بؤسي، فلم يَعُد يُعيرني انتباهاً. هكذا، بكل برود وعبثيّة الموقف فقدتُهم جميعاً، بيدَ أنني ولحسن الحظ أشعر أنني لستُ أبالي بشيء، فعلى كل حال لم أعُد مسؤولاً أمام أحد، ولا ينغّص عليّ هذا الشعور إلا كوني مشرّداً في المدينة. فالحياة في الريف بسيطة لدرجة أن ما تالفه اليوم يحدث لك مراراً حتّى بعد مرور ثلاثة عقود. أما هنا، فالحياة معقّدة لدرجة أنك لن تكون أنت ذاتك بعد ثلاثة أيام. وتلك الكتب التي قرأتُها في حياتي، قد احتاجُ لوقت يعادل الوقت الذي أمضيتُه في قراءتها كي أستطيع أن أقنع نفسي أنه يمكنني العيشُ هكذا. جلستُ على مقعد إسمنتي قرب مسرح «مترو المدينة» أول الشارع. كان الجو بارداً، وضعت يديّ في جيبويي لعلّي أجد بعض الدفء. وبينما كنتُ أحاول أن أستقر في جلستي، شعرت أن برودة الإسمنت لسعت ردفيّ، إلّا أنني سرعان ما اعتدتها، ولم أعرف إن كان المقعد أخذ الدفء من جسمي أم أن جسمي صار بارداً، وهكذا اتفّق أن كلينا تجاهل المسألة. فكّرت أنني ربما قد أنسى كل هذا بعد عامٍ من التشرّد، وقد أتعوّد عليه لدرجة أنني لا أرى فرقاً بين هذا الشارع أو ذاك، وأسقط نائماً حيث تتعب قدماي.

نعم. يمكن لأيّ شيء في حياتنا أن يتحوّل إلى إدمان. الحبّ، الحزن، الخوف، الكراهية، الوجع...

عندما نعتاد على نوع من أنواع الضجيج، نحسّ بالفراغ حين يهدأ.

وحتّى الإقلاع عن الإدمان يمكن أن يتحوّل إلى عادة نمارسُها دوماً، فأنا من كثرة ما حاولتُ الإقلاع عن الشرود الذهني سابقاً، أدمنتُ العادتين، الشرود الذهني ومحاولات الإقلاع عنه، بدليل أنني الآن أتسكّع وحيداً لأنني لم أعد أجيد شيئاً آخر. كلاب شاردة تركض في رأسي، تلهثُ بلا توقّف. تُشعرني أنني سوف أتقيّأ هذا العالم بعد قليل. ولكن إلى أين سأذهب بعدها؟ لا أعرف. واثقٌ بأنني لن أطرقَ ذلك البابَ مجدداً، كما أنا واثق بأنني لا أستطيعُ إغلاق ذاكرتي. أربعة جدران بلون واحد، وضوءٌ معلّق في منتصف السقف، غرفة زيد كانت تشبه الزنزانة، ربّما كان ينقصني الحكمُ بالإعدام، لأنني كنت أحمل تلك الملامح، التي كانت فعلاً تنتظر الموت، كما ينتظر أحدهم إشارة المرور.

قرفٌ... والوقتُ يأخذ شكل المقصلة. لاشيء يستحق المجازفة، الواقع تكرار للقرف ذاته كل يوم. الخيال مادّة لزجة تشبه السائل المنوي، ونشوتُنا جميعاً لا تدوم لأكثر من ثلاثِ ثوانٍ. الجحيمُ عمره أطول.

■■■

اليوم الثاني. كنتُ طيلة النهار نائماً قرب ذلك الكشك المغلق، استفقتُ على ركلة شرطيّ المرور، ذلك السّمج، ربما ظنّ بأنني سكران أو مغمىً عليّ، أفقتُ ربماً على الركلة الثالثة أو الرابعة لا أدري، استعنتُ بيدي اليمنى كي أنهض، وكان جسمي في حالة تشبه الشلل وعظامي تؤلمني من البرد. رفعتُ ناظري إليه متسائلاً: ما الذي تريده مني؟ فبادرني بالقول: ما الذي تفعله هنا؟ قلت له لاشيء، نائم فحسب!

عندها ازدادت حدّة نظرته، تجعّد جبينه الواسع والتقى حاجباه قائلاً: لا أريد أن أراك نائماً هنا مرّة ثانية، هل فهمت؟

لم أردّ عليه. نظرتُ في وجهه نظرة فارغة، من دون أيّ تعبير في ملامحي. أنهى كلامه ومضى وأحسست من طريقة مشيه أنه كان يتبختر معلناً انتصاره عليّ.

بقيتُ وقتاً أراقبه وهو ينظّم حركة المرور. انتابني حينها شعورٌ لم أفهم ما هو بالضبط. كانت الساعة الحادية عشرة مساءً بتوقيت اللّعينة بيروت، تلفّتُ حولي: جدرانٌ قديمة. جدرانٌ حديثة وفخمة، محالّ تجارية، إشارات مرور خضراء وحمراء، عجلاتٌ تدور بسرعة وأخرى واقفة، سيارات.. سيارات كثيرة ومليئة، أضواء خافتة، أضواء مزعجة، أناس يضحكون بقوة، أناس يبكون بهدوء، أحاديث غريبة تدور بين المارّة، عن الحروب والحانات، عن النساء الجميلات والرجال الأغنياء.

نادرٌ مرور الأولاد الصغار هنا، ما عدا أولئك المشرّدين، صوتهم يتسرّب إلى مسمعي من بعيد. يقولون أحياناً بلهجة سورية مائلة قليلاً إلى العراقيّة (نصبغلك السبّاط أستاذ؟ بخليلكياه يلمع) (بدّك وردة؟) (اشتر وردة لهالقمر إلّي معك). أتجاهل أصواتهم لعلّي أهدأ، فتمرّ بمحاذاة وجهي الذي لم أغسله منذ أيام، امرأة لها وجه جميل وجسد رشيق متناسق، أردافها بارزة خلف خامة سروال ضيق، وهي كاشفة عن نصف نهديها. صحيح أنّ الأنا العليا تتحرّك في رأسي قليلاً، ولكنني في داخلي أتمتّع بالمنظر. حتى أن الأمر في بعض الأحيان يعدو كونه اشتهاءً ورغبةً في ممارسة الجنس للمرة الأولى، إلى كون تلك المرأة لوحة تسير في الشارع أو شيء مقدّس...

عاودتُ الجلوس بحيث لا يراني الشرطيّ، أشعلتُ السيجارة الأخيرة من علبة التبغ. سحقتُ العلبة بيدي ورميتُها، وبدأ ذلك الصوتُ يتردّد في مخيّلتي: من أنا؟ أسائل نفسي، وأجيب: مَن ينامُ على الرصيف بلا فراش يعزل لحمه عن «الباطون» ولا ثياب تطرد البردَ والذبابَ عن جثّته البالية، ولا شيءَ بين وجهه والبؤس إلا خطى المارّة، لأنه يقضي معظم الوقت ملقىً على الأرض فلا يرى من البشر سوى نعالهم.

آه أيتها الحمراء. قلبي الزاني يربض وحيداً، مثل كلب بائسٍ لا يجيدُ شيئاً سوى النباح.

(*) فصل من رواية للكاتب السوري يوسف الخضر. صدرت حديثاً عن «منشورات إيبيدي» في الإسكندرية

شوفي دلال: تقاطع شارعي الحمرا والسادات في العاصي (الوان مائية على ورق كونسوت قطف، 2020).

نص

# كيارستمي في بغداد

**صفاء سالم إسكندر ***

يقول لي صديقي حسن عائد إنّه يبحث عن نظارة كيارستمي في بغداد. ضحكت من كلّ قلبي، يا ترى كيف فكّر بذلك، ليتبيّن لي، كيف فكّرت بسذاجة، عندما أرسل لي مقالاً كتبه هو بعنوان «شيء ما تحت نظارة كيارستمي». لقد تحدّث عن رؤيته للأشياء، والتفاصيل بصورة مختلفة، عندها فكّرت، أنّه يريد رؤية الأشياء هنا في بغداد بصورة مختلفة، هذه الرمزيّة، وما لها من تأويل محفّزة بشكل ما، فلو كان هنا كيارستمي آخر، عراقي، ليكن حسن نفسه، وهذا مجرّد مثال، لأني أعرف حبه وعشقه لهذا المخرج العالمي، ترى كيف سنرى بغداد؟

كيف سيختار فريمات عمله؟ وكيف سيرى الجمهور السينمائي ذلك؟ هل بقي أي شيء لبغداد تقول لنا من خلاله، أنها بغداد.

ما الذي لم نقله في وصف حالتنا؟ أعرف أننا شعب ذو حضارة عريقة، حضارة ليست كأي حضارة أخرى، عينه ما لم نعرفه، أو أننا سنرى من جانب آخر لم نكن نحسب له أي حساب، لأننا اعتدنا رؤية الخراب والموت فقط، ويحق لنا أن لا نلوم أنفسنا، فمن يرى الموتى، لا ينظر إلى الوردة بشكلٍ عادي أبداً، إلّا على أنها نوع من القداس الإلهي لأرواح هؤلاء الذي تركوا الأثر والأثر. لكن مع هذا كله، هنا أو هناك أو في أي مكان تقصده في أرض العراق، ثمة ملازمة للشعر، أعترف أنه ما كل شيء تعتريه الشاعرية كما يراد بالقصد، وهذا مطلب رهيب للرؤية.

يقول جبرا إبراهيم جبرا في روايته «صيادون في شارع ضيق»، وهي رواية سيريالية، تدور أحداثها في بغداد: «عندما تصل إلى مدينة

فوتوغراف لناظم رمزي (العراق، 1959)

إن كيارستمي سيختار الهامش، ليبرز صورته، ويجد ثيمة عمله، هنا ألف شخص يستطيع أن يكون بطل القصة. يقول كيارستمي عن السيارات: «إنها مكاني المفضّل، مقعدان مريحان، وحوار في غاية الحميميّة بين شخصين».

وفقاً لذلك، ساتخيّل أن المحظوظ الأول في لقائه، بل اللّقطة الأولى له ستكون في التاكسي. أعرف أني الآن صرت أتحدّث عن كيارستمي الحقيقي، لا بد لي من ضم روحة إلى المشهد، ما زال لبغداد ذلك العبق الروحي إلى جانب العبث، إلى جانب كل شيء يجاور الموت من أجل الأمل والجمال، المهم، سيسير وراء طفلة تتبع الورد في إحدى التقاطعات بكاميراته، على الأكثر ستكون نوع «فوجي» يؤكّد لي ذلك صديقي علي وحسن، سيرافقها إلى البيت، لا تهمّه الحياة التي أمامه، الهامش له مقاصد كبيرة في سينماه.

هل لهذا الفيلم خصوصيته؟

بكاميرا كيارستمي كل شيء له خصوصيته، لكن سنغرف من خلال عينه ما لم نعرفه، أو أننا سنرى من جانب آخر لم نكن نحسب له أي حساب، لأننا اعتدنا رؤية الخراب والموت فقط، ويحق لنا أن لا نلوم أنفسنا، فمن يرى الموتى، لا ينظر إلى الوردة بشكلٍ عادي أبداً، إلّا على أنها نوع من القداس الإلهي لأرواح هؤلاء الذي تركوا الأثر والأثر. لكن مع هذا كله، هنا أو هناك أو في أي مكان تقصده في أرض العراق، ثمة ملازمة للشعر، أعترف أنه ما كل شيء تعتريه الشاعرية كما يراد بالقصد، وهذا مطلب رهيب للرؤية.

يقول جبرا إبراهيم جبرا في روايته «صيادون في شارع ضيق»، وهي رواية سيريالية، تدور أحداثها في بغداد: «عندما تصل إلى مدينة كبيرة، فإنك تكون مثاراً، ولن تفكر طويلاً بالفندق الذي ستنزل فيه لأن الشوارع تستصرخك لكي تمشي فيها، كما أنك تشعر بأن في المدينة جواً من التوقع كما لو أنها كانت، خلال هذه الأعوام كلها، تزين نفسها لتلقاك، تريد أن تهرع لتراها كلها في ساعة من ساعة من الزمن».

ستظل هذه المدينة، مهما اندثر حظها، ومهما لمنا كل شيء، ستظل ذات صيت بهي، بما لها وما عليها، وحلماً يراود كل من يسمع عنها. ذكرتني رواية جبرا بناظم رمزي، وقلت: تُراها أي مقابلة ستكون بين فوتوغراف رمزي وكيارستمي، والأمر ليس متشابهاً، بالتأكيد له اختلافه، زمنٌ مختلف، أناس مختلفون، واقع آخر، لكن من المقاربة هي ما سيسحر هنا، لقد صاد ناظم رمزي أشياء ساحرة، خلقت فكرة جميلة عن ذاك الزمن، اقتصاد في الظل والضوء، ترميم لما هو داخل الصورة، ومشهد يحسب له، إذاً هناك سحر رهيب لم يكتشف بعد في بغداد، سحر الفن وسحر شاعرية الأماكن.

لقد فكرت كثيراً بزيارة المشاهير إلى بغداد، وذكرت أكثر من شخصية أدبية، وأنا أراها تعيش هنا بيننا، تشرى كيف ستكون الأمور؟ كيف سيكتبون رواياتهم؟ ويخرجون أفلامهم؟ ماذا لو مرّ بورخيس على مكتبات بغداد، أو في شارع المتنبي بحثاً عن «ألف ليلة وليلة» كما ذكرت ذلك في كتابي «غرفة القارئ» أو في قصتي القصيرة جداً «بورخيس في المتنبي» كيف سيرى العالم بغداد وقتها؟

وخير دليل وشاهد أمامنا، زيارة البابا التي غيرت من نظرة العالم (ولو قليلاً) وجعلته يفكّر بسحر هذا المكان، الغائب سحره عن أهله، لا عن قصد بل بسبب ظروف خارجة عن إرادتهم. عندما عنونت هذا النص بـ «كيارستمي في بغداد» أردت أن يكون معنى لهذه الصورة، أن تأخذ معناها السينمائي، كان يكون فيلم كيارستمي المتخيل عن بغداد، بمثابة طريق قدوم إليها، أو طريق جديد لها. لأني على يقين من لقائه بأناس الهامش، الذين لهم قصصهم، فلهذه المدينة قصتها البسيطة والمعقدة في الآن نفسه، إذ يمكن لك أن ترى قصة سوريالية، وترى قصصاً أكثر من ذلك، المدن التي لا تستيقظ من الحرب بسهولة لها قصصها الخاصة بها، لها أساطيرها ووجعها الذي يسمّي إيمانه ويرسمه على وجوه العامة.

ساحب رؤيتك هنا يا كيارستمي، ولو كنت مجرّد روح، فأنتَ شريك جلساتنا أنا وحسن وعلي وكل من يعشقك مشاركاً الحديث عنك.

* بغداد/ العراق

توثيق

# الحركة الشيوعيّة في تونس... من الاستعمار حتى الاستقلال

**أنيس الشعبوني**

عن «دار محمد علي الحامي» في تونس، صدر كتاب «تراجم نشطاء الحركة الشيوعية في تونس زمن الاستعمار الفرنسي وبدايات عهد الاستقلال 1921-1963» بالتعاون مع «مكتب التعاون الأكاديمي لمؤسسة روزا لكسمبورغ». يمكن اعتبار كتاب الباحث الحبيب رمضان، أشمل وثيقة تؤرّخ لولادة الحركة الشيوعية في تونس، وقد كانت بدايتها مرتبطة بالحركة الشيوعية الفرنسية وفي سياق الأممية الشيوعية التي تأسّست في عام 1919.

الكتاب الذي قدّم له العميد السابق لـ «كلية الآداب والفنون والإنسانيات» في منوبة الحبيب القزدغلي، يشتمل على 300 شخصية من روّاد الحركة الشيوعية في تونس من جنسيات فرنسية وإيطالية ومالطية، وهي الجاليات الأوروبية الثلاث التي كانت مقيمة في تونس لغاية استقلال البلاد في عام 1956.

اختار الباحث الفترة الزمنية الممتدة بين تأسيس أول خلية شيوعية وحلّ الحزب الشيوعي في 1963 بقرار من الرئيس الحبيب بورقيبة بعد المحاولة الانقلابية الفاشلة التي استهدفت النظام. يقول الحبيب رمضان عن الشخصيات التي اختارها وجمع سيرها: «يندرج هذا المؤلّف ضمن هذا الهدف عبر التعريف بأسماء ونساء ورجال كان لهم دور داخل الحركة الشيوعية في تونس انتسبوا إليها بقطع النظر عن مدّة الانتساب أو ظروفه، ومن دون اعتبار الجنسيّة واللّغة والدين... فيهم التونسيون والأوروبيون، عمالٌ ومثقفون وصنايعية وفلاحون، مسلمون ومسيحيون ويهود... هؤلاء التقوا حول فكرة الشيوعية». ويضيف رمضان: «سيجد المتصفّح لهذا الكتاب أسماء قيادات، بعضها معروف وراسخ في الذاكرة الوطنية، وبعضها الآخر قد غمره النسيان، وهناك من كان مناضلاً قاعدياً أو إطاراً محلياً أو من الصفوف الخلفية، وتجد من بين مَن ذكرنا نساء ناضلن وتركن بصماتهن في السياسة والمجتمع».

ومثّل إعلان الجامعة الشيوعية في تونس استقلاليّتها عن الحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1929 مساراً جديداً في تاريخ الحركة الشيوعية، تعزّز بتأسيس الحزب الشيوعي التونسي الذي أسهم إلى جانب الحزب الدستوري في الحركة الوطنية والكفاح التحريري الذي تُوّج باستقلال البلاد، وقد تعرّض عدد من قياديّيه إلى السجن والإبعاد والمنفى.

نكتشف في هذا الكتاب مجموعة من الشخصيات من الشيوعيين الفرنسيين والإيطاليين والمالطيين الذين ساندوا مطالب الشعب التونسي في الحرية والعدالة الاجتماعية، وقد تعرّض بعضهم إلى السجن والطرد من تونس مثل سيرانو انريكاز الذي اعتقل في أيلول (سبتمبر) 1935 وسُلّطت عليه عقوبة مالية وسجنية بتهمة توزيع مناشير واحتقار السلطات الفرنسية، ودومينيك أنتونين الذي ساهم في تأسيس الجامعة الشيوعية و«الكونفدرالية العامة للشغل» (سبقت الاتحاد العام التونسي للشغل) الذي تمّ نقله إلى فرنسا بسبب نشاطه الشيوعي والنقابي المعادي للاستعمار الفرنسي وغيرهما. وهناك ليتزا تشيتانوفا وهي فرنسية من أصول إيطالية ولدت في تونس، وطُردت من عملها، واعتُقلت في تموز (يوليو) 1942بتهمة المشاركة في توزيع مناشير شيوعية عبر البريد والانتماء للحزب الشيوعي التونسي.

في هذا الكتاب التوثيقي الهام، لم يكتفِ الحبيب رمضان بسير المؤسّسين فقط، بل قدّم مجموعة من البيانات والمعطيات وببليوغرافيا الصحف والمجلات التي كان يصدرها الشيوعيون في تونس، وكذلك عشرات الجمعيات والمنظمات والنقابات التي ساهم الشيوعيون في نشاطها بما يجعل من الكتاب وثيقة أساسية في قراءة تاريخ الحركة الشيوعية في تونس.

نكتشف أيضاً مجموعة من الأدباء والمثقفين الذين كانوا من مؤسّسي الحركة الشيوعية مثل محمد فريد غازي الذي أعد أطروحة دكتوراه في «جامعة السوربون» في باريس بعنوان «النزعة الإنسانية في مؤلفات ابن المقفّع»، وكتاب «الشابي من خلال يومياته»، والدكتور توفيق بكار أستاذ النّقد الأدبي في الجامعة التونسية، والدكتور صالح القرمادي أستاذ الإنسانيات في الجامعة التونسية، والمترجم والشاعر البارز والشاعر عبدالرحمن الكافي، والمسرحي محمد بورقيبة والروائي جلبار نقاش وغيرهم.

وعن الخط العام للحركة الشيوعية التونسية، قال الحبيب رمضان إن «وحدة الخط السياسي العام للحزب لا تنفي وجود مواقف وقراءات فردية داخل صفوف مناضليه قد تبقى في حدود الفرد أو تتشكل في تيّار متبلور؛ لكن بين الكوني والخصوصي، وبين الأممي والوطني... كان تراجح تاريخ الشيوعيين في تونس وفق ظروف موضوعية، وطنياً وعالمياً، تتجاوز رغباتهم وتعاكس تطلعاتهم أحياناً». ويضيف: «لكن هذا لم يمنع من وجود هيمنة مكوّن من مكونات ذاك الخليط لأسباب ليست بالضرورة كمية بقدر فاعليتها أو لدواعي إيديولوجية».

وكان الحزب الشيوعي التونسي قد دخل في مرحلة العمل السري بين 1963و1981 عندما سمحت له السلطة بالعودة إلى النشاط، وشارك في أول انتخابات برلمانية تعدّدية سنة 1981. وفي مؤتمر 1992، تم تغيير الحزب ليصبح «حركة التجديد والتخلي». وفي مؤتمر 2011، تحوّل اسمه مرة أخرى ليصبح «حزب المسار الديمقراطي الاجتماعي»، وهو موجود في المشهد السياسي لكن من دون تأثير يُذكر.

بعد حلّ الحزب الشيوعي، شهدت تونس ظهور تنظيمات أخرى مثل «حركة الآفاق» التي تمّ الزجّ بقياديّيها في السجن سنة 1968 و«حركة العامل التونسي» مطلع السبعينيات التي لقيت المصير نفسه. وبعد حقبتي الستينيات والسبعينيات لغاية أواخر الثمانينات، كان الشيوعيون يهيمنون على الجامعة التونسية ويتصدّرون قيادة الحركة النقابية، لكنهم اليوم لا يمثّلون أيّ وزن سياسي في البرلمان بسبب التشتّت وحرب الزّعامات بينهم.

يمكن اعتبار هذا الكتاب وثيقة أساسية لا غنى عنها في الاطلاع على تاريخ الحركة الشيوعية في تونس وهوية مؤسّسيها من تونسيين وأوروبيين من مسلمين ويهود ومسيحيين. حركة دافعت عن كرامة الإنسان وانخرطت في الكفاح من أجل الاستقلال بما في ذلك عدد كبير من الفرنسيين الذين أدانوا الاستعمار الفرنسي. والمعروف أنّ الحركة الشيوعية التونسية ضمّت عمالاً وحرفيين وفلاحين وتجاراً آمنوا بفكرة العدالة الاجتماعية والاشتراكية، إلى جانب طبعاً المثقفين والجامعيين.

والاستنتاج الثاني هو ارتباطها العضوي بالحركة النقابية، فمعظم روّادها كانوا أساساً نقابيّين في «الكونفدرالية العامة التونسية للشغل» التي أسّسها محمد علي الحامي والطاهر الحداد وغيرهما، وكانت أول تجربة في التنظيم النقابي قبل تأسيس «الاتحاد العام التونسي للشغل».

ويقول الحبيب قزدغلي في تقديمه للكتاب: «سيكتشف القارئ من خلال هذا الكتاب أن مسيرات الأفراد متعدّدة ومتنوعة، وهي ليست نمطيّة أو مسطرة سابقاً أو محكومة بإيمان عقائدي يقيني لا يدخله الشك ولا أي شكل من أشكال النّقد. فنحن أمام مرويّات لبشر تتحلّل تجاربهم ومساعيهم محطات فيها شكّ وضعف وتراجع وفيها تصحيح كما فيها «محاكمات رأي» و«تفتيش» حيث وصل الأمر إلى تعرّض عدد من المناضلين إلى قرارات طرد من طرف قيادة حزبهم تبيّن في ما بعد أنّهم هم الذين كانوا على صواب واضطرت القيادة للقيام بنقد ذاتي».

«تراجم نشطاء الحركة الشيوعية في تونس زمن الاستعمار الفرنسي وبدايات عهد الاستقلال 1921-1963» مرجع يحتاجه الباحثون في تاريخ الحركة الشيوعية واليسار العربي عموماً الذي كان التعبيرة السياسية الأولى في الجامعة التونسية إلى حدود منتصف الثمانينات وهيمنة الإسلاميين على الجامعة والشارع على حدٍ سواء. وهو يعدّ تتويجاً لكتب عديدة صدرت في تونس حول اليسار والحركة الشيوعية، لكنه أوّل كتاب توثيقي بهذا الحجم وقد تطلّب إعداده سنوات طويلة من التنقيب في المراجع المتفرّقة.

**هيمنوا على الجامعة وتصدروا قيادة الحركة النقابية، لكنهم اليوم لا يمثلون أيّ وزن**

## لمحات

**طارق بكاري**

ليس هناك ما قد يعيد بطل رواية «روائح ديهيا» (دار الآداب) لطارق بكاري إلى قريته الأمازيغية صنهاجة سوى أمرين: موتُ الأم التي أدمت طفولتَه، أو عودة «نجمة» حبيبته الأولى، وأمومته البديلة التي اختفت في ظروف غامضة. بعد ربع قرن من الغياب، يُعيد الروائي المغربي بطله بمجد سياسيّ وأدبيّ كبير، ليُعيد ترتيبَ فوضاه الداخليّة. غير أن العودة إلى المكان، ستهزّه وتوجّج عواطفه، خصوصاً لدى لقائه ببعض الوجوه منها الساحرة الإسبانية ذات الأصول الأمازيغيّة.

**طلعت شاهين**

يحوي «الرؤية في ليلة معتمة – مختارات من الشعر المعاصر في أميركا اللاتينية» (دار خطوط وظلال) مجموعة من القصائد التي اختارها وترجمها طلعت شاهين. يغطي الكتاب قصائد شعراء وشاعرات من القارّة اللاتينية، منذ القرن السابع وصولاً إلى جيل معاصر. تشتمل هذه السنوات على تحوّلات في الشعر اللاتيني، إذ كان أوّل الأنواع الأدبية التي أنتجتها القارّة منذ الغزو الإسباني، ثم شكّل 1888 عاماً فاصلاً بصدور كتاب «أزرق» للشاعر روبين داريو، وغيرها من المحطّات التي تمثّلت بتجارب فرديّة استثنائية.

**شربل داغر**

يبحث شربل داغر في مسألتين تتعلّقان بالقرآن، الأولى هي أهليّة المدوّنين في تدوين القرآن، وأهليّة اللّغة العربية ومدى توافر الأحكام والأدوات في ضبط ألفاظها وصيغها. يعود الكاتب والشاعر اللّبناني في مؤلّفه «صنعة العربية من التنزيل إلى التأليف» (الدار الأهلية للنشر والتوزيع) إلى مصادر ومراجع بلغات عدّة، لكي يقوم بمساءلة المدوّنة العربية في مواضيع عدّة منها النزول، جمع القرآن، والتجاذبات اللغوية حوله، والتفسيرات حول «واحدية» القرآن و«تكاثر» العربية وغيرها من إشكاليّات.

**محمد شعبان**

«برهوم بيك» (نوفل/ هاشيت أنطوان) هي أشبه ببورتريه لمتشرّد في شوارع دمشق، يُدعى برهوم. في روايته السّادسة، يترك الصحافي السوري محمد شعبان، السّرد للرجل المتشرّد ليستغرق في سرد تفاصيل العيش في الشارع. إنه رجل بسيط مُصاب بعطب جنسي منعه من الزواج، وحين نزح إلى دمشق، تورّط بحب المثلّة المشهورة شفيقة عن بُعد. في العاصمة السورية، يتعرّف أيضاً إلى كاتب مشهور، لتبدأ بينهما علاقة مختلفة من الحوارات الشائقة التي تشكّل عصب هذه الرواية.

**بلقيس شرارة**

بعد مرور سنة على رحيله، تستعيد بلقيس شرارة فصولاً من حياة شريكها المعمار العراقي رفعة الجادرجي في كتاب «رفعة الجادرجي» (دار المدى). يسلّط الكتاب الضوء على الجادرجي كمنظّر ومعمار وكاتب ومصوّر فوتوغرافي الذي «كان في سباق مع الزمن» كما تصفه زوجته. ويُظهر الكتاب بعض الجوانب التي تكتشفها وتكشفها شرارة للمرّة الأولى في شخصيّته، منها الاعتراف بفشله في السيطرة التكوينيّة في بعض مشاريعه التصميميّة، ودقّته وقدرته على التركيز، وحريته في البحث والتقصّي.

**إدريس نقوري**

ينطلق إدريس نقوري من الرغبة كنظريّة وممارسة في كتابه الجديد «نظرية الرغبة وأخواتها» (صفحة سبعة للنشر والتوزيع). يعالج المفكّر المغربي الرغبة في إطار الفكر الغربي ابتداءً من أفلاطون وصولاً إلى الفيلسوف الفرنسي المعاصر رونيه جيرار الذي عُني بالرغبة وبقضايا أخرى متّصلة بها.

هكذا يقلّب نقوري الرّغبة كقوّة قاهرة متعدّدة الأبعاد النفسية لدى البشر، والكثير من سماتها وجوانبها التي تجنح نحو التدميريّة، فيما قد تكون إيجابية وفعّالة ومحفّزة على العمل والنهوض في أحيان أخرى.

نوفيلا

# روبرتسون فريزيرو: «بعيداً عن القرى»... قريباً من الحياة

**تغريد عبد العال**

عكس ما يوحي لنا العنوان، فإن هذه الرواية القصيرة المعنونة بـ «بعيداً عن القرى» (2015) للكاتب البرازيلي روبرتسون فريزيرو (1969) التي صدرت ترجمتها العربية عن «منشورات تكوين» (ترجمة مارك جمال) تذهب عميقاً نحو الماضي، لتقترب من القرية وبالتحديد من النقطة التي يبدأ منها كل شيء. كأنه حكاية مجهولة حدثت في الماضي ولا طريق سوى تقصّيها والذهاب نحوها لمعرفة الآب المجهول. كأن هذا الاقتراب من الذاكرة، إنما هو دعوة للتحرر منها كلّياً لينقذ ماضيه من النسيان، فيسرد الكاتب حادثة وحيدة هي اغتصاب أمه وخالته، ماريا وميرنا، أثناء الحرب.

اللافت هنا أن السرد لا يتوغل في شرح الحادثة، فنحن نقرأها فقط في النهاية، بل تصبح نتائج تلك الحادثة وما تركته من آثار داخلية على شخصياتها، هو ما يضعه الكاتب أمام أعيننا. فتصير الرواية مجرد خيالات لما يمكن أن تكون عليه الحكاية الأصلية. نتذكّر هنا ما قاله البيرتو مانغويل بأنّ «القصص هي تأويلاتنا عنها، ليست هناك قراءة بريئة».

وهنا يبني إيمانويل الذي هو الراوي الذي أراد الكاتب أن يروي حكايته، عالماً متخيلاً وهو يستعين بأمه وخالته وذكرياتهما ليبني تصوراً ما. هنا نعلم أن الرواية تريد أن تروي شيئاً ما غير واضح ولكنه حقيقي، فنتعاطف مع إيمانويل وهو يقصّ حكايته ونشعر أن جرحه أهم بكثير من سؤال ماذا حدث. أليس الأدب هو ذلك السؤال لا الإجابة؟

وكما قال إيمانويل عن أمه في أزمتها التي لم تستطع فيها التمييز بين الماضي والحاضر، «لقد جعلتني شخصاً آخر». يدرك إيمانويل أن ما يعرفه عن أبيه غير صحيح، فالحقيقة غير ما كان يتخيله معظم الوقت، فقد كان أبوه متخيلاً، وهو أحد الجنود الذي لم يغتصب أمه فنسبت له ابنها. حتى هذه الحقيقة كانت متخيلة. وهنا المفارقة أن نكتشف في نهاية الأمر أن الخيال هو الحقيقة في قصتنا. حتى خاله لم يتجدّد في الغابة، بل قتله أحد الجنود، وهو ما جعله يعلم أنّ أمه تخلط الذاكرة بالخيال. يتركنا فريزيرو نتخيّل ماذا يمكن أن تكون مشاعر إيمانويل ولا يكتبها في رغبة منه بأن يشارك القارئ في الكتابة معه، وهذه هي مهمة السرد المبدع. يتّضح أن الرواية تريد أن تقول الشعر ولا تسرد أحداثاً فقط. تمرّ عبر ذاكرة الراوي لتضيء على جرح يشبه كل واحد منّا وهو سؤال: مَن أنا؟ لأنه سؤال لا بد من أنّه يطاردنا في كل مراحل الحياة وحتى حين نعرفه، يبقى غامضاً ومجهولاً، فما عرفه إيمانويل عن أبيه أو رحلته في معرفة ذلك، استغرق معظم صفحات الرواية وظلت النهاية مفتوحة أيضاً على احتمالات أخرى.

لكن الأم التي هي ضحية هنا، تخلط الذاكرة بالخيال، كأن هذا هو حالنا جميعاً. لا يفضل الكاتب أن يصف حالتها كأنها مرض ما، بل كأن ذلك هو الطبيعي أن يحدث ويصبح مهمة السرد هو أن يلقي الضوء على تلك المنطقة السرية والداخلية في جرحنا الإنساني وهو ما يجعلنا نشعر بالانفعال، لا يهمنا أحياناً مسار الأحداث، بل كم تقترب منا وتتقاطع مع أفكارنا ومشاعرنا. يستشهد الكاتب بقول جوزيف جوبير: «إنما الذاكرة هي المرآة التي نرى فيها الآخرين». قول يأخذنا بعيداً نحو محور الرواية وهو معرفة الآخرين لاكتشاف الذات أكثر. ينقصي إيمانويل في بحثه عن الآخرين كأنه يريد اكتشاف ذاته لأن سؤال «مَن أنا» مرتبط بالآخرين، وهذا هو المحور الذي نقرأ الرواية بحثاً عنه.

أما الجو الدرامي والمأساوي، فهو لا يتوغّل كثيراً في السوداوية، بل في آثار الألم. اللغة تحاول المرور قرب الجو المؤلم ولا تشرحه. نتذكر الكم الهائل من الروايات العربية التي تشرح وتكتب عن الواقع السوداوي والمرير من دون أن يكون هناك شعرية. وهذا بالطبع يجعل الكثير من الروايات اليوم متشابهة، خصوصاً روايات الديستوبيا العربية. وهذا يأخذنا إلى سؤال آخر: هل يكتب الروائي ليروي أم ليجعلنا نسأل؟ يجيب الروائي التركي أورهان باموق عن هذا السؤال بطريقته الخاصة حين يسرد كيف يسأله القراء دائماً: هل أنت بطل الرواية؟ فيشرح أن ذلك من جمالية الرواية أن تجعلنا نتساءل ما هو الحقيقي وما هو المتخيل في الرواية.

ويبدو أن ما يربط الراوي بالعالم الذي يتذكره في قريته البعيدة هو الوجوه والصور، كأنما هناك رحلة داخل هذه الصور واختلاق قصة حولها. إنه تمازج الأدب مع الفوتوغرافيا، فنحن نتخيّل أن الكاتب يمسك البوماً يقلّبه، فتدور في رأسه الحكايات بينما يغيب وجه أبيه، فيخلق له صورة ملائكية عظيمة. ومن هنا يجعلنا الكاتب نتأمل لوحات ونركب نحن قصصاً عنها.

«بعيداً عن القرى» هي نوفيلا عن الكتابة الروائية التي تطمح أن تقدم الجديد في كتابة تتخلّى عن أساليب باتت شائعة وربما مستهلكة في الحديث عن العالم من حولنا الذي يمتلئ بالحرب والدمار والخراب والألم والفقر والجوع والانتحار والاغتصاب... كلها مواضيع صرنا نعرفها ونتمنى قراءة أشياء جديدة عنها أو ربما نقرأها بأسلوب جديد ومبتكر يجعلنا ننظر إلى أنفسنا من جديد نظرةً مختلفة.

**الجو الدرامي والمأساوي، لا يتوغّل في السوداوية، بل في آثار الألم**

سرد

# هدى سويد: عندما جَثَتْ إيطاليا حتى الركبتين

**منى سكرية ***

لم تكُن هدى سويد على دراية تشبه التنبّؤ، أو قراءة الطالع، عندما شاهدت «إيطاليا تجثو حتى الركبتين»، أنها بإصدارها الجديد ستقدّم للقارئ صورةً مغايرة عن إصدارها في 2020 الذي حمل عنوان «إيطاليا الخفية». في «إيطاليا الخفية»، جالت بنا سويد، مُمسكة بيدنا، بعيون مفتوحة/ مندهشة بين روائع الحضارة الإيطالية، ونوابغ مثقّفيها، والنحّاتين، والموسيقيّين وسحر الطبيعة والجبال والبحر والمتاحف... أما في «أنا أبقى في البيت» (2021 ، دار الفارابي)، فالعنوان دليل المضمون، والوباء ذاكرته، والكابوس المتنقّل، مُتنقّلٌ أيضاً في سطور يومياتها خلال أقل من سنتين من انتشار كورونا.

إيطاليا التي جَثَتْ على ركبتيها كما تصف سويد، وكشفت عنه في إصدارها هذا، تكاد تكشف المستور من دولة تتلوى ما بين مافيا ومؤسسات، أو دولة مسكونة بمافيا.

لقد كشف وباء كوفيد 19 عيوب المجتمع الإيطالي، كما الكثير من مجتمعات عدد من الدول، وثغرات بُنى قطاعاتها، وفضحت دفائن النفس البشرية بما تقتصر على شهواتها اللحظوية والرغائبية، وإن كان خطر الوباء نزيل المجالس، يسكن حيث يسكن الناس، يراهم ولا يرونه، يلتقطهم بالطابور، وقد ينجو البعض - ونجوا فعلاً - ، في حين لم يتمكّن البعض الآخر من الإفلات من عقابه بسبب اللامبالاة، فكان القبر المستقرّ الأخير. في «إيطاليا الخفيّة»، قطعت سويد ميدانياً آلاف الكيلومترات استنطقت خلالها إرث إيطاليا الحضاري، وفي «أنا أبقى في البيت» قطعت أنفاس القارئ. وفي الكتابين، برعت بموهبتيها في الصّحافة الاستقصائية وحشر الأنف في كلّ تضاعيف آثار الوباء وما نجم عنه، وفي الكتابة الأدبيّة ووجدانيات ليالي التأمل بمعنى الغربة والمكان والموت، وأيضاً في سِيَامة ذاتها بالانتماء الإيطالي واندماجها به وبداخل بيئته. تُقفّت سويد أثَر بصمات الوباء، فاتصلت بأطباء واستفسرت منهم، ووَثّقتْ بذكر أسمائهم/ ن، وسألت وكتبت تأكيداً منها لما سمعته وتداولته وسائل ووسائط الإعلام، مستعينة بنباهة البحث عن المتاعب خوفاً من انزلاقات التضليل. وذكرت أن إيطاليا التي «تُعتبر من ضمن البلدان الرائدة في الإنتاج السينمائي، بدأت بإسدال ستارة الحياة على أفلامها الرومنطيقية والكوميدية مُكتفية تدريجياً بالأفلام السوداء».

بدأ هذا الوضع الساخن في منتصف شباط (فبراير) 2020. و«قبل الفيروس، كانت الخشية مصورة بالنّصوص، وكان المرء يحتاط مُستعيناً بالأبواب المصفّحة. أمّا مع الفيروس، فلا جهاز إنذار يكشف قدوم الشبح» (ص65). وهكذا تحوّلت إيطاليا إلى مشهد طوارئ الحروب (عنوان الباب الثالث)، وفيه دوّنتْ أقصى وأقسى مشاهد ذاك المشهد، وأنقل منها بعض فقرات متناثرة بين الصفحات: «كان الشتاء يمرُّ بارداً يمكن تحمّله. لكن ما كان يجري في الخارج كان يقصّ المضاجع، تزداد معه كوابيس اللّيل ويتحوّل البرد صقيعاً مع أنباء الموتى. لم تتوقّف الإصابات. بَكت إيطاليا، واعتُبر يوم 13 آذار يوم حداد تاريخي. فلا ينسى أحد منّا السبعين شاحنة عسكرية التابعة للجيش تجوب ليلاً في مدينة بيرغمو، وقد اضطرّت إلى تغيير وُجهة سيرها أكثر من مرة ما بين محارق بيرغمو ومدافنها. مشهد جنائزي مؤلم حتّى العظم، هكذا حتّى من دون أن يرافق الموتى أحد. ناهيك عن أخبار وفاة المسنّين في دور العجزة، ومن ذوي الاحتياجات الخاصة بعد فوات الوقت والأوان والإهمال، أو لنقص في العلاج. كان عدد الضحايا يفوق التصوُّر بحيث لم تعد تُقرع أجراس الحزن في الكنائس، لأنّها ستقرع من دون توقّف. فاختلط العجز بالجشع وباللّامسؤولية. كانت إيطاليا تجثو حتى ركبتيها» (ص104). استعرضت هدى لما كان يحدث في ظل الوباء، مشيرة إلى «غياب سياسة الطوارئ»، وهو ما أثار انتقاد الفيلسوف الإيطالي ماسيمو كاتشاتي بقوله «إنّ إيطاليا لم تكن مستعدّة بتركيبتها الدستورية لمكافحة الوباء»، ومثلها بإشارتها إلى ما استفادت منه المنظمات الإرهابيّة من غموضٍ تحديداً والمافيا من انتشار الوباء مع توقّف مصادرها من فرض الخوّات، لكن «ما قصم الظهر كان رفع الاتحاد الأوروبي يده متلكّئاً عن مساعدة إيطاليا»، مع ملاحظتنا حول مرور سويد بسبعة أسطر عن المساعدات الروسيّة ولكن من زاوية انتقادات اليمين الإيطالي من دون أن تعرض حجم المساعدات الطبيّة الروسية من أدوات وأطباء وتقنيات وتعقيم بوسائل متطورة.

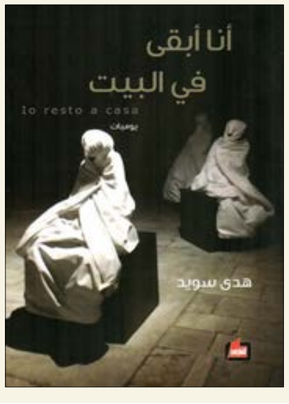


**أهدت الكتاب إلى الزاحف محمد دكروب**

«أنا أبقى في البيت» عنوان استعارته سويد من عنوان مهرجان فني/ اجتماعي حشدت له الشاشة الصغيرة تحدياً للوباء، وكان الهدف منه حثّ الناس على الصمود، غناءً، وعزفاً موسيقياً، وكتابة وإطلاق مسابقات، للأطفال والشباب، وإضاءة الشموع... وكان «للنحّات المبدع فابيو فيالي صاحب التجربة الغنيّة في الجزائر التي استوحى منها عملاً اخترته لغلاف كتابي وتسميته «النعمات» أو «المئات الثلاث»، وقد عُرضت لوحدها في كنيسة سان أوغستينو، وتمثّل دائرة عتمة يتخلّلها ضوء خافت مُسلّط على ثلاث نساء متباعدات جسدياً، تُركت كل واحدة منهن إلى صمتها، مُتشحات بقماش فضفاض، ويغطي وجوههن برقع نهله من تقاليد عربية راها ليُجسّد واقعاً نعيشه» (ص84 مع الإشارة أن صورة الغلاف من تصوير سويد). لكن عندما جثت إيطاليا حتى الركبتين، أطلق وزير خارجية إيطاليا دي مايو صرخته بالقول: «لم يعد مسموحاً أن يتقاضى لاعب كرة قدم في اليوم ما يتقاضاه طبيب أو باحث في شهر، وعلينا إعادة النّظر بمفاهيمنا على أن نُحرّس الأولوية في الأيام القادمة للأبحاث والمرضى والمستشفيات والجيش» (ص 142).

في الختام، شكراً لهدى سويد التي وثّقت لمرحلة من تاريخ إيطاليا تحت الوباء (كورونا) قد يكون حافزاً لآخرين يرون تجاربهم، والتي لم تنسَ في الإهداء مَن ساعدها أن تستذكر «إهدائي الخاص للراحل وإن لم يغب عن ذاكرتي محمد دكروب، أستاذاً، أديباً وصديقاً»، فلعلّ في تذكّرها إيّاه، حضّاً للآخرين أن يستذكروه أستاذاً، أديباً وصديقاً... نظيفاً.

* صحافيّة لبنانية

أوراق

# سدّ ذي القرنين

« يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ» لزكريا القزويني (1203–1283)

زكريا محمد *

معروفةٌ قصّة ذي القرنين ورحلته إلى أرض قوم مأجوج ويأجوج في القرآن. وبناءً على القصة، فقد أنشأ ذو القرنين هناك سدّاً بطلب من أهل المنطقة، مُنع من خلاله يأجوج ومأجوج من الخروج وإفساد الكون. بالطّبع، جرت محاولات لا تتوقّف لفهم معنى يأجوج ومأجوج (جوج وماجوج في التوارة).

وما زالت هذه المحاولات تتواصل، من دون أن تصل إلى حلٍّ مُرض. أمّا أنا، فأعتقد أنّهما يمثّلان الماء السّفلي في الكون. لذا، جرى بناء السدّ لحصر هذا الماء، ومنعه من أن يكتسح بطوفانه الكون. بذا، فقصّة يأجوج ومأجوج يجب أن تُضاف إلى قصّة الطوفان: طوفان نوح وطوفان أوتونبشتيم. وقد أفصّل في هذا عبر مقالٍ لاحق. فالمجال هنا لا يتّسع.

وأدناه هي الآيات التي تعرض للقصّة:

«حتّى إذا بلغ بين السّدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً. قالوا يا ذا القرنين إنّ يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض، فهل نجعل لك خُرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً. قال ما مكّنّي فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً. آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصّدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً. فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً» (سورة الكهف 93-98).

وما أودّ أن أشير إليه هنا هو أن ثمّة كلماتٌ غامضةً في الآيات القرآنية التي تعرض القصّة. فهناك على الأخصّ كلمة «السّدين» وكلمة «الصّدفين». وبناءً على الآيات، فقد أقام ذو القرنين سدّاً منيعاً بين الصّدفين، أي الجبلين أو بين رأسيهما، بعدما ساوى بينهما، بناءً على طلب أهل المكان.

لكنّ المشكلة أن السّدود كانت موجودة قبل وصول ذي القرنين، كما تبيّن الآية رقم 93: «حتّى إذا بلغ بين السّدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً» (الكهف 93-95).

وكما نرى فهناك سدّان وليس سداً واحداً فقط. وقد بلغ ذو القرنين ما بينهما. وقد أربك وجود هذين السّدين المفسرين مما اضطرهم إلى جعل السّد بمعنى الجبل في الآيات بمعنى: «حَكَى الزَّجَّاجُ: مَا كَانَ مَسْدُوداً خِلْقَةً، فَهُوَ سُدٌّ، وَمَا كَانَ مِنْ عَمَلِ النَّاسِ، فَهُوَ سَدٌّ... والسَّدُّ والسُّدّ: الْجَبَلُ وَالْحَاجِزُ» (لسان العرب). وهكذا فقد يكون السد حاجزاً أو جبلاً. وفي هذه الحال فهو الجبل. وهذا اقتراحٌ ليس من السّهل قبوله بالطّبع. فقد وضع للتّغلب على غموض الآية.

> ثمّة كلمات غامضة في الآيات القرآنية التي تعرض القصة

ولحلّ المعضلة، يمكن لي أن أقترح أنّ تصحيفاً ما حدث في الآيات هو الذي أوصل إلى ثلاثة سدود دفعة واحدة. واعتقادي أن التّصحيف مزدوج:

التّصحيف الأوّل: حصل في كلمة «السدّين». فالأصل فيها هو الصُّدين: «حتى إذا بلغ بين الصدّين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً».

والصّد هو الجبل أو جانب الوادي: «الصُّدَّان: جانِبا الوادي، الواحد صَدٌّ» (ابن فارس، مقاييس اللّغة). يُضيف لسان العرب: «الصَّدَّان: ناحيتا الشِّعْب أَو الجبل أو الوادي، الواحد صَدٌّ... والصَّدُّ الجانب» (لسان العرب). يزيد ابن جني: «والصد جانب الجبل والوادي والشعب» (ابن جني، الخصائص). ويؤكّد القاموس المحيط: والصَّدُّ، ويضم: الجَبَلُ، وناحِيَةُ الوادِي. والصُّدَّان، بالضم: شَرْخا الفَرْقِ [فرق الرأس]» (القاموس المحيط).

إذن، فالأصل كان يتحدّث عن «صدّين»، لا «سدّين»، أي عن جبلين متقابلين، أو جانبي واد، أو شرخيه. ويكون الوادي في العادة بين جبلين، أو شرخي جبلٍ واحد.

التّصحيف الثّاني: وقع في كلمة «الصّدفين». وهذه الكلمة أيضاً تصحيف آخر لكلمة «الصدّين» ذاتها. بذا فقد صحفت كلمة «الصّدين» مرّتين: مرّة على شكل «السدّين»، وأخرى على شكل (الصّدفين). في التّصحيف الأوّل جعلت الصّاد سيناً (السّدين)، وفي التّصحيف الثاني أضيفت فاء زائدة إلى الكلمة (الصدفين).

انطلاقاً من هذا، فذو القرنين صنع الرّدم - السدّ عن طريق تسوية ما بين الصدّين، أي الجبلين المتقابلين، أو ضفّتَي الوادي المتقابلين، أو شرخيه. ويبدو أنّه فعل ذلك بأن أحرق طين البناء بالنار، أي شواه، حتى تصلّب وتقسّى، ثم صبّ عليه صهير الحديد حتى يزداد متانة وصلابة. وهذا الشي بالنار يشبه ما فعله هامان لفرعون. فقط طلب فرعون منه أن يشوي له الطين ويبني به برجاً: «وقال فرعون يا أيّها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلّي أطلع إلى إله موسى وإنّي لأظنّه من الكاذبين» (سورة القصص 38).

إذن، فقد كان هناك حركتان لذي القرنين:

الأولى: في الحركة الأولى بلغ بين الصّدين، فطلب منه أهل المنطقة أن يبني لهم سدّاً يحميهم من مخاطر يأجوج ومأجوج.

الثانية: في الحركة الثانية ساوى بين الصدفين، وأنشأ لهم الرّدم، أي السدّ.

انطلاقاً من هذا فالآيات في الأصل تقول هكذا:

«حتّى إذا بلغ بين الصّدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً. قالوا يا ذا القرنين إنّ يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خُرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سدّاً. قال ما مكّنّي فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً. آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصّدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً. فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً» (سورة الكهف 93-98).

بناءً عليه، أنا أعتقد أنّ «الصّدفين» كلمةٌ وُضعت في القاموس انطلاقاً من التّصحيف لا غير. لقد خلقها التّصحيف، ولم تكن موجودة قبله. كما أعتقد أن السدّ جُعلت بمعنى الجبل انطلاقاً من التّصحيف أيضاً. والله أعلم منّي ومنكم.

* شاعر فلسطيني